فرانسوا جوليان

الحياة الحقة

ترجمة أ عهد المجيد النوسي

الحياة الحقّة

De la vraie vie

by François Jullien

الحياة الحقّة

فرانسوا جوليان

ترجمة: عبدالمجيد نوسي

صفحة ٧

الكتاب
الحياة الحقّة
المؤلّف
فرانسوا جوليان

الطّبعة الأولى:2023
التّرقيم الدّوليّ:
978-603-8387-39-9
رقم الإيداع:
1444/7413

De la vraie vie © Éditions de l'Observatoire/Humensis, 2020

حقوق التّرجمة العربيّة محفوظة
© صفحة سبعة للنّشر والتّوزيع

E-mail: admin@page-7.com
Website: www.page-7.com
Tel.: (00966)583210696
العنوان: الجبيل، شارع مشهور
المملكة العربية السعودية

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of publisher.

تستطيع شراء هذا الكتاب من متجر صفحة سبعة
www.page-7.com

الفهرس

(I) حياةٌ غائِبة 7

(II) الحَياتان..... 25

(III) هي كذلك " الحياة الحقة" 45

(IV) لا حياة جميلة، لا حياة طيبة و لا حياة سعيدة. 71

(V) حيوات ضائعة 95

(VI) حاول أن تعيش 121

(VII) من فكَّر أكثَر عُمقا أحبَّ الأكثَر حياة..... 147

(I)

حياةٌ غائِبة

1. الحياةُ تنخسِفُ، مثلما تنخسِفُ الأرضُ. إنها تتراكمُ يوما بعد الآخر تحت ثقل غير مرئي. تحت جاذبية انفرزَت من ذاتِها وتتراكمُ: احتِمالات تقلَّصَت إلى حد أننا لم نَعد نستطيع حتى تَخيُّلها. ولكن، هل يتعلق الأمر فقط بهذا؟ شك يرتفعُ، ذات صباح، بصيغة ماكِرة- واليوم لم يفرض بعد مجراه، لم يُسقِط بعد قَدَرَه-وهو أن الحياة يمكن أن تكون شيئا آخر غير الحياة التي نحياها. شك ماكِر مثلما هو مُسبب للدوار، وبما هو أقدم شك في العالم، بل وربما رأى النور مع العالم: وهو أن الحياةَ التي نحياها لا تُعد، ربما، حقيقة، الحياة. وأن هذه، في مصدَرِها الجوهري، لم أشرَع بعد، ربما، في استِكشافِها: لازلت، ربما، لم أشرع بعد في **العيش حقيقة**. الروايةُ نفسها، التي نقولُ عنها إنها تصِفُ الحياة، هل فكَّرَت ملِيا بالموضوع: إن هذه الحياة، التي نتافهم على تسميتها "الحياة"، ربما، لم تعُد سوى مظهر خارجي أو شَبَه للحياة؟ لم تعد ربما، وهي التي أُفرِغَت من المعنى من تلقاء ذاتها، من دون عِلمنا، سوى شَبيهِها أو محاكاتها الساخرة. ما نحن علينا، ربما، هو أننا بصَدد تفويت فرصةٍ، حتى بدون أن نُدرِك ذلك، "الحياة الحقة"، فرصة الحياة التي تحيا. أو على الأقل لنبدأ بقول هذا بهذه

الصيغة، في هذه الكلمات المألوفة جدا والتي تُعد مثل الرَّمية الأولى لصنارة على أقل ما نودُّ، ربما معرفته: إن حيواتنا هي، ربما، ليست سوى أشباه –حيوات–والحال أن هذا الشك، بمجرد ما يتِم استشعارُه، هل نتركُه يسقط في غياهب النسيان كما نحاولُ نسيان حلم سيء؟ هل علينا أن نتركه يُغطي، أن نتركه يُطمَرُ تحت الحياة التي تتكررُ بدون كَلل؟ ما تحت الحياة التي ليست، دائما، سوى صورة للحياة كما صنعناها عنها، كما أصبحت مألوفة لدينا والتي سَتَفرِض نفسها، فورا، علينا من جديد، في هذا اليوم الذي يبدأ، مثل بَديهة لن نفكرَ أبدا في خلخَلَتِها. وهذا بتكتُّم كبير بطبيعة الحال، كما أن شيئا لم يحدُث...

هذا الشك المُستَشعَرُ، هذه الكلمات الأولى الملقى بها، أترددُ أنا بنفسي في إطالة أمدها، وأعترفُ، كثيرا ما أخشى كل ما يمكن أن يقترب ولو قليلا من ما يُهددُ في الوقت الحاضر –بصورة جماعية– فِكرَنا: سوق السَّعادة وسوق التنمية التي نصطلح عليها "بالذاتية" يوهِمان بأنهما يدعُوان للتفكير. لقد جعلوا من تيمة "الحياة" تجارتَهم وذلك بإغراق المكتبات على نطاق واسع بفلسَفتِهم الزائفة. في فرنسا ... ولكن أليس كذلك، أيضا، في كل أوروبا؟ وفي أماكن أخرى... لدينا، دائما، ما يكفي من هذه الكتب التي نقول عنها، في لغة الإشهار، إنها تقوم "بالفعل الحسن"؟ مثل هذا الانشِغال فرضَ نفسه علينا بقوة، بصفة حصرية متزايدة، تراجع عن هم وحيد هو هَم الحيوي (الحياة)، مستحضراً في الوقت نفسه "الروحي"، ولكن دونما مثل أعلى، دونما إنجاز ولا اشتراطات. إلى حد أننا لم نعُد نفكر أبدا حتى في أن نقلَق من هذا الانشغال. تبجحا بعبارات المنطق السليم أو

باستِعَادات لها عمق الحكمة الخالدة، هذه البلاغة الطنَّانة – مثل خدعة – جاءت لتشكل الإيديولوجيا المهيمِنة، اليوم، بالتغطية على كل طُموح للعقل. هل سيكون ذلك إلى الأبد؟

مثل هذا الغباء يُهددُ الفلسفة، بنفس الطريقة التي تكونُ فيها حيواتُنا مهددة من لدن الحياة الزائفة؛ وهذه لا يمكن إلا أن تتردَّى بواسطة ما تحتويه الأخرى من فِكر مُصطَنع. هذا الفكر الكَسول، فِكر التَّراجُع، **تَراجُع** الفِكر مُقترِنا بتراجُع الحياة، مقتنعا بالتفاهات لفكر دوني لا يعطي أكثر للتفكير ولا للحياة، إذن، هذا هو ما يتعينُ أن نقِف في وجهه من الآن فصاعدا. إنه ما يدعو للقلق، وهو ما يتعين التسلح ضده، من أجل أن لا نتركَ حيواتنا تضمحِل تحت وطأة السَّخافة. غير أن هذا يُعد في غاية الصعوبة لأن هذا "الشيء" (هذا "الشيء الذي ضده" ننتفضُ) يُعد بدون صلابة، ولا نرى أيضا "باسم ماذا" ننتقِده. باستِثناء التفكير ربما كيف أن "الحياة الحقة" يمكن أن تتشكلَ داخل مفهوم يشجُبُ في الوقت ذاته المفهومين: الانخِساف داخل شبه-الحياة مثلما هو داخل ما يشبه الفِكر. وإلا كيف تفادي الانخساف؟

أيضا، هذا الشك المنبَجسُ ذات صباح داخل الحياة، ولكنه يَمس الحياة ذاتها، الشك الذي لا تنزعُ شبه الفلسفة سوى إلى إخفائه تحت أشباهها الزائفة، تحت أقوالها المنمَّقة، ألا يجدر بنا، ولو مرة واحدة في حياتنا، أن نُحدِّق فيه وجها لوجه: هذا النسيان وهذا المحو للحياة داخل الحياة، كيف استطاعا أن يتحقَّقا؟ مثل هذه الخلخلة المفاجئة للحياة داخل الحياة، في هذه اللحظة العميقة مثل زِلزال، التي تذهبُ إلى حد تشكِيكنا في أن هذه الحياة تُعد حقيقة الحياة، يمكن أن ننتظرَ،

حقا، مع اليوم الذي يَنساب، وكل ما قد يفرغُ منه، أن تبدأ في الخُمود والسكون. لتعودَ الحياة "كما هي"، نقول هذا بطريقة سَهلة من أجل أن تستعيدَ هدوءها. هذه الخلخلة التي تتيحُ التلميح، ذات صباح، إلى أن حياة أخرى، تُعد ممكِنة، يمكن أن ننتظر أنها بدورها تنخسِف، مثلما "تنخسِف" الحياة. من حقيقة أن الحياة التي نحياها هي حياة مختزلة، يمكننا دائما أن نرغب في التكيف... من يجعل، علاوة على ذلك، تقريبا، كما أن هذا الشك فيما يتصلُ بالحياة ذاتها، فيما يتعلق بما يمكن أن يكون زيفَ الحياة الذي غرقَت فيه الحياة، ألم يختبرها حقا؟ كما أنه يوجد توافُق ضمني على حجبه. - وإما أن أقفَ عند هذا الشيء نفسه وأقول بشكل حاد: إنه، وعلى الرغم أنني في الحياة، فأنا لا أعيش "حقيقة" ؟ ليس بقدر ما أن الحياة "تهرب"، **الحياة تهرب**، ضد مالم نتوقَّف منذ وقت طويل عن انتقادِه بعنف. ولكن لأننا سنكون راضين بما يُعد شبه حياة فقط؛ ولأننا بالنسبة "للحياة الحقة"، ولو تعلَّق الأمر بلحظة هاربة، لم نتمكن، ربما، على الدوام من الوصول إليها.

لأنه حتى وإن لم يتَعلق الأمر هنا سوى بفكرة انبثقت ذات صباح، بل حتى وإن كنا نريد صرفَها بضربة يد مثل فكرة مُزعجة، ولكن لأن لنا الحدس بأنها لن تمكن سوى من أن تكدر المجْرى المُتحكَّم فيه، الذي "صنعنا منه" حياتنا، ها هو شيء ما يشبه الدوار – إنه ما يتصلُ بالحياة التي تُشجب ظاهريا-مع ذلك قد بدأ. إذا لم نُسرِع في إعادة تغطية ما يظهر هنا للعيان –وهو ما يعملُ ربما إشارة-بكل ما يوجد لدينا، بشكل عادي، في الرأس، مثلما نرمي بأول ملاءة تصادفنا من أجل إخماد بداية حريق، إنه كل ما كان، إلى حد اليوم، يجعل حياتي

صامدة والتي بدأت الآن في الاحتراق، مثل ديكور مسرح، مثل ورق مُقوى، وتفسح المجال لظهور ابتذالِها. إلا أنه، ماذا يظهر فجأة هنا، ما لن يعني فقط حياة فردية، منطوية بهذا الشكل داخل فرادة تاريخها؟ ولكنها تكتشِف نفسها في عمقها الوجودي: إن الحياة هجَرت الحياة، وهذا بدون أن ندرِك ذلك.

بمعنى أن الحياة سقطت في انقطاع ما يصنعُ، فعليا، الحياة؛ أو أن هناك قصورا للحياة داخل الحياة، أو لنقُل ذلك ارتدادَها. لهذا السبب، فإن الحياة لا تتوقفُ عن التأرجح ظاهريا، وعن إفراز نسختها المقَلَّدة. ما سنَصطلِح عليه "بالحياة الحقَّة"، منذ ذلك الحين، ليس هو الحياة، كما "ينبغي أن تكون"، ولكن ليست هي، والتي لم نتوقف عن الاحتفاء بها من أن أجل أن نبكيها. إنها، على العكس من ذلك، الحياة التي تعدُّ، **فعليا**، الحياة، التي تأبى على أن تُزوَّر، أولا وقبل كل شيء، إلى حد إخفاء هذا التصحُّر الذي تأثرت به. من أين يأتي، بينما نحن ما زلنا في الحياة، أن يستمر هذا الشعور مثل نوسطالجيا الحياة داخل الحياة—من لم يشعر يوما بهذه النوسطالجيا؟ أولا يتعلق الأمر هنا سوى بفكر يُلازم الحداثة؟ اليونانيون (اليونانيون «السعداء»)، هم الذين كانوا يمثلون الآلهة في منحنى الطريق وعند ملاقاة الرجال، هل كان بالإمكان استثناؤهم أيضا من هذه النوسطالجيا؟

هناك شيء، في كل الحالات، أكيد: حينما نقول (عندما نستيقظ من حلم مزعِج، حينما نتماثلُ للشفاء من مرض...) إننا، الآن، عازمون على «قضم» الحياة، «إلى حدودها القصوى»، مثلما نقضم تفاحة، فالعبارة، على الرغم من قيمتها الجازمة، تعد مُضلِّلة. الحياة لا تسمح

لنفسِها بأن «تُقْضَم» -بل، هل تسمح بأن يُقتَرب منها؟ - فيما يمكن أن يمثلَ فوريتها الحاضرة. نقول، أيضا، إنه يجب أن «نستمتعَ بالحياة» «مادام أننا في الحياة ...» ولكن لا نستطيع أن نستمتع بالحياة، لأن الحياة لا تعد شيئا يشبه «مِلْكا»، يمكن أن نمتلِكه ولو مؤقتا، وبهذا يمكن، مباشرة، مادام في حوزتنا، أن نُفيد منه؛ يمكن أن نجني «الفاكهة»، حسب العبارة المألوفة: كما لو أننا نستطيعُ استِهلاك الحياة. إنه بالأحرى، بالعودة إلى الماضي، عن بعد مسافة، داخل الذكريات، أو ربما في الحلم، آنذاك نبدأ في رؤية، وهو يَرتَسِمُ، كما هو الأمر من خلال فَجوة، ما سيُمكِن أن يكون، ربما، أساسا، الحياة. لأن التناقض العميق للحياة هو أن الحياة لا **تتطابق** مع الحياة، وهذا بشكل أصلي. إذا «كانت الحياة الحقة تُعد غائبة»، كما قال ذلك رامبو [1] في عبارة حاسمة، مكتسبة إلى الأبد، هذا لا يأتي، طبعا من حادث معين أو من تعاسة شخصية، يمكن أن تصبح تقريبا هزلية، ولكن من هذا التناقض الأساسي، الذي يعد تناقض الحياة نفسها: «إني في قاعِ العالم»، تقول العذراء المجنونة، **لفصل في الجحيم**،[2] «في قاع العالم» مثلما في قاع الهاوية. إلا أنه، في الوقت ذاته، ومن المسلم به حالا، «لسنا في العالم» ... إلى هذا العالم، حتى الآن، لم ننتسِب بعد.

هذا العالم –هنا، هذه الحياة–هنا ألم يضيعا **سلفا**؟ «الحياة –الحقة» هل أصبحت **ضائعة** إلى الأبد؟ هكذا لن نتوقف من الرغبة في «إعادة الاكتشاف واستجماع القوى» يقول من جانبه بروست في نهاية: **الزمن**

---

(1). آرثر رامبو (1854-1891) ، شاعر فرنسي ، من شعراء تيار الرمزية .

(2) .«فصل في الجحيم»، ديوان شعري للشاعر الفرنسي آرثر رامبو ، كتِب نثرا ونشر سنة 1873، ويُعد شهادةً على حياة الشاعر في لندن رفقة الشاعر فيرلان.

المُستَعاد[3]، «هذا الواقع الذي نعيشُ بعيدا عنه» واقع الحياة الحقة «الذي نبتعد عنه أكثر فأكثر، تناسبيا مع الكثافة والتنافذ التي تتخذها المعرفة التواضُعية التي نستعيض بها عنه. بالفعل، على المستوى الأكثر فورية والأكثر اعتيادية، أو حتى الذي يعد أصليا: الحياة سمَحت لنفسها بأن تُختزل إلى أحاسيس موسومة سلفا، مُمَعيرة **سلفا**، ومشفَّرة. إنها تحبسُنا داخل الديكور الزائف، أينما ذهبنا، أينما غامرنا، لما لا يمكن أن يكون، منذ ذلك الحين سوى إدراك زائف. إلا أن هذا الواقع «الذي نُخاطِر بقوة بأن نموت بدون أن نتعرفَه » يُعد «بكل بساطة حياتَنا». أي، «الحياة الحقة»، التي يسميها فورا، بروست «الحياة الحقة» هي «هذه الحياة التي، بمعنى من المعاني، تسكُن في كُل لحظة كل الرجال»، غير أنهم لا "يرونها" ، لأنهم لم يسعوا إلى «استيضاحها».- لكن، هل نحن، مع ذلك، في رحلة البحث عن شيء آخر، طوال حياتنا كلها، سوى عن حياة لا تكون فقط سوى مظهر خارجي أو شَبه للحياة، لا تكون فقط سوى حياة زائفة –لتكون، فعليا، «الحياة الحقة»؟ كل عبرة أخلاقية لن تأتيَ سوى فيما بعد. وحتى إن بلغنا «الحياة الحقة»، هل نكون في حاجة، أيضا، إلى الأخلاق؟ كل رواية، بالمناسبة وبمجرد ما تحفر ولو قليلا في مادة الحياة، ألا تصبح مستكشِفة «للحياة الحقَّة»؟ ألا يجب أن تسمى، دائما، نوعيا، **الحياة الحقة؟**

لنفرض أن شخصية لا تعملُ سوى على الحلم بهذه الحياة، لا توجد لديها الشجاعة للمُخاطرة في سبيل هذه الحياة، أو أنها تلامس الإمكانية بدون الانتقال إلى الفعل: إنها تترك حياتها تهرب بدون مزيد

---

(3). « الزمن المستعاد» هو الجزء السابع من المتوالية الروائية: «البحث عن الزمن الضائع» لمارسيل بروست (1871-1922)، نشر سنة 1927 بعد موت الكاتب.

من الإرادة، تحت ترسبات اليومي، بل تحت هزات التاريخ (فريدريك مورو في التربية العاطفية)[4]. أو أن الحياة الحقة تساوي في النهاية بين العُشاقِ بمجرد ما أن اجتازوا -اختَرقوا- شبه الحياة السابقة، طموحاتِها المُضللة، عرفوا كيفية التضحية بالباقي: جوليان سوريل مع السيدة دورينال[5]، اليوم الأخير، داخل صومعة بزنسون، حتى قبل أن يُقطع له الرأس لأنه تجرأ على الثورة ضد شبه- الحياة للمجتمع. أو أن الحياة الحقة تتسللُ داخل الحياة بطريقة مفاجئة، بواسطة لِقاء، يوما، بطريقة مفاجئة ظاهريا، ولكنها تسلك طريقها بهدوء من خلال الحياة المُستقِرة، الحياة الاتفاقية التي شيئا فشيئا لم نعد نعيش فيها. ما ينهض إذن، من المدفون في الحياة، يتحولُ فجأة إلى عاصفة ويقوم بقلب كل شيء: (أنا كارينينا)[6]. أو أن الروائي أيضا يقابِل الاثنين: الحياة العادية، التي تنقضي بين التسويات، الاحترازات والترتيبات بدون نهاية، الحنان، ولكن أيضا الإذعان، يحكمان، في نهاية المطاف على الحياة؛ وعلى مستوى مشهد آخر، حياة تبلغ الحياة الحقة، بالتجرؤ على كسر، بواسطة شجاعتها، دائرة مصير مُستعِد لابتِلاعها (في التجاذبات الاختيارية[7]، لكوته، على النحو الذي يتصور بنيتَها والتر

---

(4) . شخصية من شخصيات رواية "**التربية العاطفية** " للروائي الفرنسي كوستاف فلوبير (1821-1880). وقد نشر سنة 1869.

(5) . بطل رواية ستاندال (1873-1842) ، " **الأحمر والأسود** " .نشرت الرواية سنة 1830.

(6) . رواية ليون تولستوي (1828-1910)، نشرت سنة 1877.رصد فيها تولستوى نماذج بشرية متنوعة.

(7) «**التجاذبات الاختيارية**»، رواية كوته (1749-1832) نشرت سنة 1809. يحاول كوته في الرواية مقاربة العلاقات الإنسانية في بعدها المُركب من خلال نموذج علمي وخاصة الكيمياء.

بنجمان[8])

2. بادئ ذي بدء، علينا أن نواجه هذا التناقض الذي يصبح الفكر أمامه في غاية العاجز. لأنه، من جهة، نعرف ذلك جميعا، الحياة هي الشيء الوحيد الذي يهُم. ولكن من جهة أخرى، الفكر له تأثير قليل جدا على الحياة. إذا كان العيش هو ما يعد مهما «قبل كل شيء»، وبه ترتهنُ «كل الأشياء الأخرى»، وأن هذه الأشياء لا تُعد سوى إضافة تدخل في الحسبان قليلا جدا، وهو ما يتم التذكير به في الواقع، لأي شخص، بفظاظة، بمجرد أن العيش (أثناء الحرب، في المرض...) يُصبحُ في حالة خطر، لا يظهر أنه يسير على ما يرام، لا يستطيع أن يظل هادئا في كمونه؛ وهو، سلفا، قد خَرج من صمته بواسطة الألم...غير أنه من جهة أخرى، العَيشُ لا يُمكن أن يُحدَّد بصفته هدفا كافيا لحيَواتنا: لأن العيش قد مُنِح لنا سلفا، ولأننا، داخل هذا العَيش، كُنا دائما، حتى قبل أن يتَحصلَ لدينا الوعي بذلك، منخرطين. لهذا السبب، فإن **العيش**، لوحده، لا يمكن أن تكون له رِسالة أخلاقية؛ وأنه يخلُص بيأس من الطموح النظري الذي لا يمكن البتة، نتيجة لذلك، سوى أن يبني «بعيدا» عنه، كما قام بذلك منذ وقت طويل، المتجاوِز، «الميتا»– فيزيقا.

أو، بدلا من ذلك، نعوداُ في هذا الأمر، حتما، إلى نفس السَّخافات البالية ل «العيش الكريم»، إلى العبارات المألوفة التي تظَل على عتبة الأخلاق ولا تتخذُ قيمة سوى بصفتها عُنوانا للدَّعوة إلى مراعاة

(8) والتر بنجمان (1892-1940)، فيلسوف، ناقد أدبي ومترجم ألماني، كتب دراسة (1923) حول: «التجاذبات الاختيارية» تمفصلت إلى مستويين: مستوى الإيروس ومستوى الوساطة حول الجمال.

النظام أو مثل أفضَل خِيار في أسوأ الأحوال. هذه العباراتُ، وفي غياب القدرة على التعمُّق، تظل في إطار ما تحت-الفلسفي، على مستوى الحقيقة البديهية، ولا نستطيع، إذن، سوى تَكرارها بدون كَلل. نظير العبارة المعروفة «لا تنس أن تعيش!»، **تذكروا أنكم تعيشون**[9]، التي نقولها، ونعيد قولها، في كل زمن كما في كل لغة، نستظهِرها يوميا، نُكررها إلى الأبد، إننا نقول هنا حقيقة بديهية –وفي الوقت ذاته حاجة مستعجلة-لن نستطيع أبدا إيضاحها بشكل أفضل. غير أن هذا الامتِثال لوجوب العيش، هل يمكن أن يكون له ولو جزء يسير من التأثير؟ إلا أنه، من قلب هذا العجز للفِكر على التفكير في الحياة، التفكير في الحياة الحقة، ألا يمكن أن يفتحَ منفذا؟ بوضع العيش على بعد مسافة، بالتراجع خطوة إلى الوراء في علاقتنا به باسم «الحقيقي» في الحياة، أو بالأحرى ماهِية الحياة، وذلك بإظهار، أيضا، كيف أن الحياة تُحمل على أن تتغيبَ وأن تُزيفَ من ذاتها، وهذا في قلب الحياة ذاتها، مفهوم «الحياة الحقة»، بعكس الحقيقة البديهية، يقتحِمُ أخيرا منظورا يمكن أن يَسير فيه قُدُما.

لأن هذا يُعد رئيسا من أجل بلوغ ماهيةِ العيش، كما أن هذا يُعد حاسما بالنسبة لمصير الفلسفة، سيكون جديرا بالاهتمام أن نتوقَّف، لحظة، عند هذه اللا-قدرة للفلسفة على التفكير في «العيش». إن التفكير في **العيش**، فيما يصنع طابعه الخاص أو بالأحرى، في ما يخص حالته، في **لا-ملاءمته** الجوهرية التي تجعل، إذن، فعل العيش أكثر

(9) يتعلق الأمر بقصيدة للشاعر والناقد والمترجم الأوكراني إيفان فرانكو (1856-1916) يشير فيها إلى أن العيش بالنسبة للإنسان بصفته كائنا إبداعيا وروحيا، يحيل على معنى الإبداع، الذي يظل وحده راسخا في الذكرى.

تناقُضا، ونتيجة لذلك، ممانِعا عن قبضة الفكر. لأن هذا يتعلقُ بالاختيارات الجوهرية، الجوهرية جدا إلى الحد الذي لا يمكنها أن يُفكر فيها كُليا، يمكن القول كثيرا، إذن، إلى المنحازين، الذين كانوا، منذ اليونانيين، هؤلاء أنفسهم الذين حملوا الفلسفة في تطَورها. اليونانيون، بالطبع، قاموا مُبكرا، باختيار الكَوني بواسطة المفهوم، كما ينسَب ذلك إلى سقراط إلا أن «العيش»، بخلاف كونية «الوجود» التي يبلغها المفهوم، لا يُدرك سوى تحت شرط تفريد معين ويتصِل بصورة قاطعة **بالمفرد: العيش**، خلافا للحياة، لا يُسمح لنفسه بأن يُصنف تحت مقولات.

اليونانيون اختاروا علاوة على ذلك، أو بالأحرى، بدايةً، التفكير وفق مبدأ عدم التناقض (بارمنيد[10]) ، ولاحقا، بالسمُو نحو صفاء الحواس (أفلاطون) مُعِلين، هكذا، من شأن ضرورة الوضوح بواسطة الفصل المطلق بين المقابِلات. والحال أن العيش يُعد جوهريا، مناقضا، لا يتم التطرق إليه سوى في الحد الفاصل بين المُضيء والمُظلم في الأهواء، غموض العواطف، ليس أكثر «اختلاطهما»، الذي لا يضع موضعَ سؤال فصلهما المبدئي، وكذلك **غُموضهما**. والأكثر من ذلك، أوليا، أيضا اليونانيون انحازوا إلى خيار التفكير في «الحقيقة»، وهذا يتوافق مع الوجود، أي بتطابُق نهائي بين الواقِع والعقل، كما ستُطورُ ذلك الفلسفة الكلاسيكية مُقيمةً بذلك هذا التقاطع المثالي للواحد بواسطة الآخر مثل «بديهية». إلا أن هذا التطابُق المثالي الذي يُرضي العقل، حقيقة، هو الموت. على العكس من ذلك، فمن حقيقة

(10) فيلسوف يوناني (ق –نقم) ن عرف بقصيدة شِعرية: في الطبيعة.

أن التطابق المكتسب يتلاشى باستِمرار، تنبثق القدرة على العيش في تجددها: إننا بإلغاء الانخراط بدون توقف في التطابق الذي أفضى إلى الحالة الراهنة، جراء نضوبها، وذلك من أجل البدء في الحياة من جديد. العيش هو **اللا-تطابق** بدون الانقطاع عن هذه الحالة الراهنة من أجل الاستِمرار في العيش.

أيضا، هل الفكر اليوناني وضع جانبا مسألة «العيش». لقد تركها جانبا لأنه لا يستطيع، فعليا، بالنظر إلى تصوراته السابقة، أن يتكفل بذلك. والحال، ما هي الأهمية التي لم تكن لهذا الأمر بالنسبة للفكر وللحياة؟ لقد تخلص من هذا الأمر ليركز على الوجود وعلى هويته الضامنة «لاستقراره»، كما أراد ذلك أفلاطون. بمعنى، أنه بحث عن أمان ينقذنا، بواسطة ضمانة هذه الحياة بالتطابُق، من الدوار الذي يَصُبُّنا فيه «العيش». لقد هابت الفلسفة هذا الدوار. هكذا، فإنها، بعدم رغبتها (بعدم قدرتها) على الدخول في الانسجام المتناقض جدا الخاص بالعيش، قد حجزته –حكمت عليه–داخل حركية «المصير»، في غياب للوجود، ولم نستخلص بخصوصه، منذ ذلك الحين، سوى نظام مجرد ومنمذج، إنه نظام الحياة الأخلاقية والسياسية (الحياة، تقول اللغة اليونانية). من هذا المنطلق، جرى هذا المنعطف الكبير للفكر، الذي يعد خاصا جدا بالنسبة لأوروبا،حاسما جدا بالنسبة لمصيرها، حيث «الحكمة» أصبحت تُدرك من الآن فصاعدا، مثل «المعرفة». فالحكمة تُعادِلُ **الإبستيمية**، يقول ذلك قطعيا سقراط في بداية محاورته " التيتاوس"، ومخاطبه يذعن. وهل يستطيع أن يفعل غير ذلك؟

كذلك **العيش**، المفرد، الملتبس والمتناقض كما هو، لم يجد ملاذا، ولم يتم التكلف به، في أوروبا، سوى في الخطاب الديني، حيث الخلاص، من خلال المسيح، يعد، فعليا، من «الفرد»، هذا الأخير الذي تم أخذه بصفته مطلقا (من أغوسطين [11] إلى كيركجارد [12]) ؛ حيث التحويل يضطلع بطريقته بالتناقض: فيما أفادت العبارة: « أنا أومن لأن الأمر عبثي» لتأييد هذا الطلاق المنطقي. بادئ ذي بدء، قيل في «جون» «إنني الطريق، الحقيقة، الحياة...» الحياة تُعد، هذه المرة، مطروحة مثل المدى النهائي، بعيدا حتى عن الحقيقة والمنجز. لأن الحقيقة لا تنبثق أبدا من الآن فصاعدا عن تطابق معقلن بين العقل والوجود، كما هو الأمر في الفلسفة، ولكن عن حدث يُحكم عليه، على الرغم من ذلك، بأنه غير ممكن، وعلى كل حال يتحدى العقل: قدوم إله داخل الصحراء وهجران لحيواتِنا. «قدوم» منتظر إلى أكبر حد حميمي للقاء الآخر وتنمية للحياة بواسطة «خارج عن هذا العالم» كما هو مُقدمٌ لنا، بل ومُصور سلفا؛ ووحده، يمكن أن ينجو من وَهن في العالم – ولكن هل يجب أن يكون ذلك بثمن باهض لعالم آخر؟

بطريقة أخرى، فكر العيش، بالتمسُّك هذه المرة بالتجربة الموظفة في العالم، يمثل موضوع الأدب (وخاصة الرواية المعاصرة). غير أن الأدب يُعد فكراً، وهو يتطور بيسر في استكشاف المفرد والملتبِس، بل يتأخر بلذة داخل التناقُضُ، كما لو أن الأمر يُعد تحديا تجاه الفلسفة أو تعويضا لها، يظل نتيجة لذلك، بدون مفهوم، يصفُ غير أنه لا يشيد – لا يأمر؛ إنه يضيء، غير أنه لا يصعدُ إلى المبدأ ولا يسمح بالاختيار،

---

(11). القديس أغسطين ، ق 4 الميلادي ، أحد أعمدة الكنيسة الغربية.

(12). كيركجارد(1813-1855)، علم لاهوت، فيلسوف وشاعر دانماركي.

ليس أكثر في الحياة كما في الفكر. لهذا، فبالانحسار المعاصر للدِّيني، فكرُ العيش سقط اليوم في شعور شغور التركة. لقد تُرِك بدون تماسك، صانعا بهذه الطريقة الفراش للتنمية الذاتية ولسوق السعادة الذي ازدهر على أساس غير مفكَّر فيه. إننا نسخَر عن حق منهما. غير أننا ماذا نعرف لتعويضِهما؟

3.) ثم، في الواقع، رغم أن كل شيء، في الحياة، نعرفُ ذلك، يُعد موضوعا للانقلاب؛ رغم أن كل شيء في الحياة يعد دائما عرضة لاتهام الالتباس، رغم أن المتضادات تتلاقى وأن «النقيض يتعاون»، كما قال ذلك هيراقليطس الكبير؛ رغم أن الواحد في الحياة يُشكلُ دائما بواسطة الآخر، ونتيجة لذلك، يُحملُ لأن ينتقِل داخل هذا الآخر الخاص به، كما تصورَ ذلك الدياليكتيك؛ رغم أن الخير نفسه يُتهم بأن يكون مهتما، إلى درجة أن الأخلاق قد يكون لها أيضا مصدر غير أخلاقي، كما رأى ذلك نيتشه، لا يوجد، رغم ذلك، في الحياة —من بين حيواتنا- تكافؤ. رغم أن كل شيء يزول في الموت، حيواتنا تُعد غير مُتساوية. هل كان يمكن للمرء أن يدرك أن كل شيء في الحياة، يعد مساويا، وحتى هذا، مع ذلك، يعد لا-مساويا ...ولكن من أين يمكنُ، من قلب هذه الازدواجية المُعمَّمة، أن ينهض مبدأ للتفاضُل يجعل أن الواحد **أفضل** من الآخر؟ إن اقتراح مفهوم **الحياة الحقَّة**، لمقابلته بالحياة التي لا تُعد سوى شَبه للحياة، بالحياة التي هُجِرت وتصحَّرت، للحياة التي «تَغيَّبت»، هو فهم لهذا «الأفضل» بوجه مختلف لما هو عليه على مستوى نمط «القيم». وإذن، بطريقة لا تكون إيديولوجية. القيم لها الفضل بأن تُحِل المُتعدد لأبعادها مَحَلَّ الركيزة المُوحدة للخير أو للإله،

الإله الذي شُيِّدت على أساسه الأنطولوجيا والتيولوجيا التي تعد قاعدتها الأساسية في حالة تصدع إلى الأبد. غير أن معاييرها تظل خارجة عنها ولا شيء يجيب عن اعتباطيتها كما نتحققُ من ذلك عند نيتشه. والحال، أن مصطلح **الحياة الحقة** يُخرجنا من تشتتها أكثر مما يخرجنا من هذا الشك. بإدانتنا للحياة التي ليست هي الحياة، التي ليست سوى شبه للحياة، فإنه يتخذ مشروعيته في حد ذاته، بطريقة داخلية، ومن ثم، بطريقة صارمة. لأن الانشطار المنجز يعد مُتضَمنا في المفهوم نفسه، تعارضه ومقاومته **للا-حياة**. أيضا، فإن مفهوم **الحياة الحقة** لا يحيل على «رؤية» معينة «للعالم»، لا يتصل باختيار يقال عنه «أكسيولوجي»، لا يحيل على اختيار حول الحياة. أيضا، هل يمكن أن يفكَّر به داخل الحياة – وربما يُعد الوحيد الذي يستطيع ذلك – ومبدئيا أن يكون من الحياة.

حياة حقة تُدمج في الواقع قلبا في المنظور، ونتيجة لذلك ثورةً في الأخلاق. لأن ما يبعثُ على التفكير في الحياة الحقة ليس أبدا الحياة كما «يجب أن تكون»، كما يعيد تصويرها بطريقته الخاصة طموحُنا، كما يَرسُمها بأجمل ألوانه ويُسقِطها الخيالُ إلى السماء، «الحياة الحقة» لم تعُد أبدا الحياة المثالية. لم تعد أبدا الحياة التي حلُمنا بها أو تخيلناها، كما قمنا بذلك منذ أمد طويل، مثل الحياة التي لا توجد بل وربما لا يمكن أن توجد. لا يتعلقُ الأمر، مرة أخرى، بمقابلة رغبتنا (مبدأ اللذة) بالواقع «الأشد» قساوة... بالعكس، هذه الحياة، حياتنا، اليوم، التي تدينُها «الحياة الحقةُ» بصفتها الحياةَ المصطنعةَ، الحياة التي ليست حَقة، التي لا تُعد سوى شبه أو سوى شبيه للحياة: الذي يعد شعورا بشغور تركة

الحياة. إنها هذه الحياة التي نعيشُها في تفاهة الأيام، والتي لا تُعد «حقة»، لا تُعد سوى ظاهر أو سوى محاكاة أو سوى تصَحُّر لما هو **فِعليا** الحياة: هذه الحياة، ولأنها استقالت وتعثرت بدون علمنا، على مرور الأيام، فإنها استلبت أيضا وتَشيَّأت، وبادئ ذي بدء، جماعِيا تحت إكراه السوق و«فيتيشيَّته»، لا تُعد سوى شَبه للحياة. الحياة، لأنها تَرى نفسَها مُجبرة على أن تكون بديلا وأن تُعوض دائما، أعذارنا العادية، تصبح فاقدة لإمكانياتها الحياتِية، وبعبارة أخرى قدرتِها على التفعيل. **الحياة المثالية** تنادي بخيبة؛ الحياة الحَقة تحملُ المسؤولية للخسارة. من ثم، فإن الأولى تُغذي الحرمان؛ والثانية تُغذي الاحتِجاج. كذلك، يطرحُ مفهوم **الحياة الحقة** المسألة الأخلاقية بطريقة جديدة والتي تُعد في الوقت ذاته نظرية وتطبيقية، بدل تجزيء الاثنين: من أين يأتي التزييف والهجر الذي تتعرض له الحياة داخل الحياة إلى حد أنها لا تصبح الحياة؟ وكيف الاعتراض، بطريقة، هذه المرة، تكونُ لها سيطرةٌ على الحياة لأنها تتصرفُ من داخل الحياة نفسها، وليس أبدا من أخلاق أو من حقيقة تكون مُملاة عليها دائما؟

«الحياة الحقةُ» تعَدُّ، هكذا، مصطلحا يمكن عبره إطلاق نقد «الحياة كما هي»، كما نقول، ولكنها، واقعيا، ليست هي الحياة أو ليست **حَقة**. إنه يسمحُ بالكشف عن كيف أن هذه الحياة التي تسيرُ كما تسير، أو بالأحرى كما لا تسيرُ، تعد حياة مُزيفةً ومَعطوبة، في الوقت نفسه خاطِئة وناقِصة، مهجورة ومحرومة: حياة **غائِبة** في الوقت ذاته في شرطها الأصلي للوجود (وهي تلمَس هنا الميتافيزيقي) وبواسطة الاستِلاب العادي الذي تخضعُ له داخل المجتمع (من وجهة نظر

اقتصادية وسياسية). هذان المستويان، اللذان نقابلُهما عادة، ألا يجتمعان في الحياة؟ كذلك مفهوم الحياة الحقة، ألا يمكن أن يقوم تحديدا، بوظيفة نقطة ممكِنة للقائهما؟ نتيجة لذلك، **الحياة الحقة** تظهَر لي مفهوما أكثر فعالية، يجِدُ ملاءمته في ذاته، أكثر من الاستدعاء التقليدي جدا «للإنسانوية ». لأنه إذا كان هذا الأخير قد أعيد له الاعتِبار، بل وأصبحَ مطلوبا أكثر فأكثر، في أيامنا هذه، بتكاليف جديدة، من أجل أن يكون بمثابة حُجة للمقاومة – مثل الإسعافات الأولية والأخيرة -في تناقُض مع انحراف العالم، ماذا يعرف أن يقابله فعليا؟ بادئ ذي بدء، في تناقض مع ما نتألمُ منه اليوم، من كل الجوانب، بفعل «العَقلنات» و «التقنويات»، الغير صالحة للعيش بالمعنى الصحيح، المفروضةَ من لدن السُّوق وعولمَته؟ بين ما نعرفه عن ما قبل–الإنساني وما يمكن أن نستشعِره عن «ما بعد–إنساني»، مفهوم «الإنسانوية» فقد وظيفة المُطلق، المُشيدة عل أساس" طبيعة" إنسانية مُحددة في هويتها، التي يبنى عليها النزاع. لذلك أعتقدُ أن **الحياة الحقة** يمكنُ أن تكون بَديلا لها بصورة مُفيدة. لأن «الحياة الحَقة» تحتوي في ذاتها، باسم ما يمكنُ أن تجابِه وتَرد: **باسم** ما نرفُض مثل الهجر وتصحُّر الحياة التي نُذرت حيواتُنا لها. وبادئ ذي بدء، إذا كان مفهومُ «الحياة الحقة» يمكن أن يكون في البداية من الأخلاق، كل أخلاق تنطلقُ من انشطار، فإنه يسمحُ بالفصل بين هاتين الحياتين: الحياة العادِية، التي تكتفي بشبه–حياة، مستسلمةٍ للظاهر الخارجِي للحياة، والحياة التي تبتعد عنها في رِحلة البَحث عن حَياة تَحيا.

(II)

الحَياتان

1). إذا كانت هناك طريقتان للعيش، إذا كانت هناك **حيَاتان**، فإنهما لا تنطلقان، بالتأكيد، من تقسيم اثناني **للحُكم** الاخلَاقي: من جهة، «الأخيَار»، ومن جهة أخرى، «الأشرار» لا يعد سوى صورة لتصَورات الكنيسة. إنها مُطَمئِنة بالنسبة للأخلاق، غير أنها لا تُعد أبدا مطَمئِنة من ذاتها في معاييرها؛ ولا تستطيع أن تُخفي الغموض الذي يجعلُ هذا الفصل مشتَبها فيه. سوف لن يتعلّق الأمر بتقسيم اثناني **للتَّصنيف**: الأغنياء/ الفقراء (المُستغِلُّون/ المُستَغلَّين، المُهيمِنون/ والمُهيمَن عَليهم): مثل هذا التقابُل يمكن أن يكون مُحَرِّكاً داخل التاريخ وذلك بالدعوة إلى قَلبه، غير أنه لا يهمُّ، معترضين على ذلك، سوى شروطِ الحياة وليس الحياةِ نفسها. ما بين وِلادة وَموت، الشيء الوحيد الذي يهمُّ، مهما قلنا عنه، هو أن نكون في الحياة، مقارنة مع ذلك كل شيء يتم إلغاؤُه. سواء كانت الحياة تقريبا «مُفضلة»، أو تقريبا «ناجِحة» أو تقريبا «سعيدة»، فإنها لن تنطويَ سوى على فرق في الدَّرجة داخل اللعبة الأبدية للانفِعالات ومَنحى الأقدار. باستثناء الاعتِقاد في حكم أخير حاسِم بين المختارين والمدانين، وهو ما يهم

تقريبا، قليلا، قليلا جدا، كل حياة تلتقي أيضا في نفَس أخير – صَمت أولي-بالحيوات التي لا تُعد ولا تُحصى والمَعيشة لحد الآن. إما أن نُشدد، فعليا، على واقعة أن المتغيرات، من حياة إلى أخرى، تُعد دائما ثانوية في ضوء هذا الشريط نفسه متجاوزة كل الشروط، («الشرط الإنساني» المشهور)؛ وإما أن نتمسكَ، على العكس من ذلك، بالطابع الفَردي إطلاقا، وإذن، الذي لا يُقارن، لكُل وجود.

كل حياة، حتى الأكثر بساطة، حتى حياة «قلب بسيط»، ألا تعد، إطلاقا، فريدة: الهاوية التي ينقطعُ فيها كُل تقارُب؟

أم هل نستطيع تمييز وإسقاط، على الفور، أشكال مِثالية، أو «خطاطات» للحياة. كما يقولُ

الأثيني (من أثينا) صاحب **القوانين** -مثلما نُخططُ على الرمل الرسم التخطِيطي لغاطس سفينة؟ بفضلها سننجِ الزُ، بالطريقة الأكثر إسعادا، كما نقرأ عند أفلاطون، «إبحار الحياة». ولكن إذا كانت هناك طريقتان للعيش، فإنهما لا تتصِلان، أيضا، بمثل هذه النَّمذجة المُحددة سلفا. سوف لن نستطيع الاختيار مُقدما بين أنماط أو بين «براديكمات» من الحياة، كما ينقلُ ذلك السارد في المحكي الذي يُغلِق كتاب الجمهورية[13]، بخصوص الأرواح المخصصة للانبعاث: القادم الأول ينقضُّ بنهم على نصيب حياة طاغية، قبل أن يثوب على الفور، في حين أن إيليس[14]، آخر من وصل، يبحث بحذر عن الحياة السيئة التي ستُجنبه محِن الوجود –"أوديسا" جديدة-والتي لا تُعد صالِحة،

(13) . إحدى محاورات أفلاطون الفلسفية.
(14) . أحد أبطال الميثولوجيا اليونانية.

بطبيعة الحال، سوى لعِبر التاريخ. لا يتعلقُ الأمر دائما هنا سوى بشروط حياة، ومن جهة أخرى، حيواتنا لا تدَع نفسها تُختزل إلى أنماط كما إلى «كُل». لا تسمحُ لنفسها بأن تُصور بطريقة استاشرافية، لا تتميز الواحدة عن الأخريات سوى أثناء الحياة، من خلالَ التشعبات التي تُعد، أولا، ضئيلة بل وإنها لا تثيرُ الاهتمام: بواسطة انعِطافات كتومة تشق طريقها بأناة قبل أن تصل إلى قطيعة مأعلنة. أفلاطون وفي الوقت الذي يريدُ فيه بواسطة المحكي الذي أنتجه أن يثبتَ مبدأ المسؤولية الفردية، يتركُ المجال واسعا ليبينَ كيف أن هذا «الاختيار» الذي نعتقدُ أننا نفعله بحياتنا يُعد على الدوام مبنيا بطريقة غير صحيحة: لا يتصلُ سوى بانعكاس في علاقتنا بحياتنا السابقة أو سوى بإعادةِ تَجديد للعادة، وباختصار، لا يخرجُ عن إطار الحياة الماضية. ما هي هذه الخطوة إلى الوراء أو ما هو هذا البروز، ما هو هذا العلم الاستِبصاري، الذي نتوفر عليه، واقعياً، حول الحياة الذي ستسمحُ يوما، من الخارج، بأن «يَختار» الإنسانُ قصدا، حياته؟

إذا كانت هناك طريقتان للعيش، إذا كانت هناك حيَاتان، هذه الحيوات لن تنبثق، إذن، من إسقاط، ولا، أيضا، من تقابُل من حيث المبدأ. بل «هل نختارُ» بين هاتين الحياتين المتقابِلتين بالطريقة الأكثر عمومية: «الحياة الفاعِلة» و«الحياة التأملية»، من أجل استعادة مقولات الاستِعمال التي أعيد تشكيلها من لدن حنا أرندت؟[15].

هاتان الحياتان لا تستمدان أصلهما كذلك من مصدرين: من

(15) . حنا أرندت(1906-1975) ، باحثة ألمانية-أمريكية في الفلسفة و علم السياسة .

«المصدرين» الاثنين (بركسونين[16]) للدين، الستاتيكي أو الدينامي؛ من الأخلاق الاجتماعية والمغلقة للإكراه أو من الأخلاق «المنفتِحة» بصفتها مستلهمَة وإبداعية. من أين ستنفجر، فعليا، هذه الثنائية المقترحة؟ انشقاق، بين حيواتنا، يحدث، في الواقع، خطوة خطوة، على مر الأيام، وأولا وقبل كل شيء، بدون أن نتبين ذلك، بواسطة انفصالات صامتة لا تنعكس إلا تدريجيا تناسُبا مع تقدمها. بواسطة **انزياح** تدريجي يفتح شيئا فشيئا، بواسطة تباعد، وفي ما سيبدو أنه نفق الحياة، إمكانية حياة أخرى.

لأن هناك الحياة العادية، المسيجة بالبحث عن الرضا الخاص بها، الذي يعتبر داخل الحقيقي في الحياة باعتناق أهميتها، مطمئنا بما تعتقد أنه طابعها العادي. إلا أن هذه الحياة وهي تعاش في بديهيتها، تثير نفسها **انشقاقَها**: إنها تستدعي، بواسطة معيارها، حياة تنحرفُ عنها – نسمي إجمالا «سلبية» هذه القوة الداخلية للتناقض. من ما يعززُها من هذه الإيجابية التي تتضمنها، هذه الحياة تولدُ من ذاتها حياةٌ أخرى، تتحدى هذه الطمأنينة، تنفصلُ عن تطابقها، تُلغي التطابق عن ما يصنعُ رضاها، تبتعد عن ما يشكلُ تطابُقها وحقيقَتها الواضِحة جدا. بدون أن نعرفَ داخل ماذا ولا إلى أي مَدى.

وحتى هذه الحياة الأخرى، التي لم تعد عادية، لا تعد، على الرغم من ذلك، «خارِقة»، لأنه سيجعل أننا سنظلُّ هنا في الانتظارية وفي الازدواجية الاثنانية للعادي ولنقيضه، الواحد يتماشى على قدم المساواة مع الآخر. «بعيدا عن الرجال» ، «خارج الطريق المتربة»،

(16). نسبة إلى الفيلسوف الفرنسي بركسون (1859-1941)

يقول بارمنيد في افتتاح قصيدته فاصلا نهائيا بين هذين الطريقين. لأن هذا الانزياح، من جهة، يحدُث خطوة خطوة، يكتشفُ شيئا فشيئا من خلال تقدمه ولا يُبرمَج، وحتى في الانطلاقة لا يُختارُ. فيما ذا يُعد هذا الانفصال أولا وقبل كُل شيء أخلاقيا. ولكن، من جهة أخرى، استِرجاعيا، ترتسمُ جيدا طريقَتان في العيش، وهما تتقابَلان: هناك الحيوات التي **تجرأت** على الابتعاد والأخرى، الحياة التي لا تُشكك حتى في أن حيوات أخرى توجد.

هذا ما سوف نعترضُ عليه على الأقل، بشيئين: من جهة، أنه لا توجد حياة «عادية»، وأن كل حياة لها لا-مركزيتها، التي تعد تقريبا مستتِرة، تقريبا مُؤطرة، وأن كل حياة لها جنونها أو أنها تعرف «انزياحات»، على الأقل في السر، جانبا، وأنها، في الوقت ذاته، تظل موسومة بغموض لا يمكن إنكاره. من جهة أخرى، الانزياحات بين الحيوات تعَد دائما نسبية لأن جوهر الانزياح هو أن المسافة المفتوحة تعد تدريجية. إلا أن هذا لا يمنع، أنه في الانزياح الذي ينفتح سيروريا وبشكل غير ملحوظ بين الحيوات، تأتي لحظة حيث، المسافة تزداد اتساعا، خط فاصل، في مكان ما، يتم تجاوزُه: حيث الحياتان، كل واحدة تغوصُ في انسجامها، منذ ذلك الحين لا تتواصَلان. لكوني أبعدت نفسي إلى هذا الحد، أصبحُ لا-مفهوما: محكوم على بأنني فريد، غريب، أحادي إلى حد بعيد، لست جديرا بالمعرفة، أو فقط «لست ظريفا» -إلا أن هذا لا يتوقفُ فقط على أننا لم نعد ندفع نصيبنا في المحادثة العادية، في ضحكاتنا، مثلما هو الأمر في إذعَاناتِنا. يجب أن نتساءل من أين ينجز سِرا الانفصال الذي يؤدي بهم، بصمت، إلى

الطلاق. إنه يأتي بالتأكيد من اليوم الذي يصبحُ فيه الانزياح المفتوح أولا، بطريقة سلبية، نتيجة التفاوت والفصل، كافيا من أجل أن يفسح المجال لظهور جديد ممكن، يؤدي إلى الفصل عن كل ما تم تصورُه سابقا ويعتبَرُ مثل الحقيقة. تنبثق، إذن، تتميزُ شيئا فشيئا خصوبة محتملة، غير مُتوقعة ومغرِية: ما كان سوى خِلاف يمكن أن يتحولَ إلى سُلطة كاشفة لما لم يكن في السابق متوقعا. انحِراف، انقِلاب مضمر، لا نعرف بالتدقيق أين نموضِعه، قد تمَّ. هناك، هكذا، الحيوات التي انحنت بشكل مغاير والأخرى، الحيوات التي ظلت في تماسكها، معززة ببديهيتها، لم تخرج عن استقرارها وعن توازنها.

الخلاف الذي يعد تدريجيا، استطاع أن يمُر طويلا غير ملحوظ حتى من الذي يعيشه، ثم يرتسمُ تغيير طفيف يقطع الحبال بواسطة ما يظهر شيئا فشيئا على أنه **جديدٌ ممكن**. من الآن فصاعدا –هذا يعَدُّ على الأقل واضحا–لن نستطيعَ أبدا العودة إلى الوراء، أو على الأقل سيتعلقُ الأمر بتراجع أو بإنكار: الحياة السابقة، الحياة الحذرة، الحياة المُسيجة، الحياة المحدودة والموسومة، الملتصقة بما يعتبر عادة على أنه الحقيقة، رغبة معينة على أننا ما زلنا نوجد فيها مُحدَّدا – بل وإننا ربما، سنحتفظ عنها دائما بالحَسرة–، تجدُ نفسَها في الواقع مهملة. بحيث إن الجرأة أو عدمها على المسافة–المسافة الكافية من أجل أن يبدأ مستقبل آخر في التوقع–تصبحُ المعيارَ الحميمي لحيواتِنا. من هنا يأتي الشرخ بين الحيوات؛ وأنه، من البديل الذي يرتسم، تحت نطاق الحيوات التي لا تُحصى والتي من بينها نعتقد أننا نستطيع أن «نختار» حياتنا، لا توجد بالفعل سوى حياتين ممكِنتين. في الواقع، لمحَ الكثيرون في مسار الحياة،

إمكانية حياة أخرى، غير أنهم بحذر– بعدم تعريض أنفسهم، بالاعتناء بأنفسهم – « بكيفية مقتصِدة» أعرضوا عنها، وظلوا في مخالب الحياة المشتركة، الحياة المعروفة – حياة المَال، حياة المَسار المهني، العائلة، المهنة بل حتى حياة الديانة: عن كل ما يمكن أن يطمئِن ويريح. ينتجُ عن هذا السؤالُ الذي يُطرح، إجمالا، حول كل حياة، على كُل حياة، والذي يصبح السؤال الأخلاقي: هل أقدمت على هذه المسافة التي غَدت حاسمة إلى حد أن أجازف خارج الحياة المحتبِسة، الحياة الضجرة، وبعبارة أخرى، اللا–حياة، ليس بدافع الاختلاف، ولكن لأنني أتوقع منذ ذلك الحين إمكانية حياة أخرى، التي يمكن أن تكون الحياة الحقة، والتي لا يتوفر الآخرون حتى على فكرةٍ بخصوصها؟

الانقِلاب الذي يُنجز، إذن، هو لحظة «اكتِشاف»، بعبارة أوضح، بدلا من اختراع. لا يوجد «اختراع»، في الواقع، في هذه اللحظة للانقلاب، لأنه لا تظهر عندئذ حقيقة أخرى، إمكانية أخرى للحياة، سوف لن تنتظر سوى هذا اللا–إرساء من أجل أن تكشف عن نفسها. ولكن هناك نزع الغطاء بالمعنى الذي تُلمَح فيه الحياة حينئذ بصيغة مُغايرة لما كنا نراها سابقا، أي تحت ما يُغطيها جماعيا. بمعنى أن ما نعتقِد سابقا أن الحياة، تحت الفكر المتراكم، تحت كُل ما قِيل حولها، المشاع والمترسِّب على مر العصور، تحت كُل ما، على مر العصور، وضَعنا ثقتنا فيه، و «صَنعنا أنفسنا» منه، لا يظهر أبدا سوى ركامٍ يخنق ويُخفي ما ستكون عليه الحياةُ حقيقةً. إلا أنه لا يتعلقُ الأمر على الرغم من ذلك، «بالالتفات» نحو حياة أخرى، مثلما ما عليه الأمر نحو

حقيقة أخرى، هكذا كما يريدُ ذلك «التحويل». غير أننا سندركُ أن الحياة التي نحياها حينئذ، والتي نعتقد أنها كانت حقيقة الحياة، لم تكن ربما سوى ظاهر للحياة، سوى حياة خيالية أو مصطنعة: لم تكن، ربما، سوى شَبه للحياة كنا نحتمي –في مَأمَن مما سيكون فعليا الحياة. من ثم، في هذه النقطة الدقيقة للانحِراف التي تنفصل فيها الحياتان، نزع الغطاء عن الحياة ونزع الحقيقة لا يميلان أبدا إلى الانفصال: نزع الغطاء عن الواحدة يُعد أيضا، في الوقت ذاته، نزعا عن الأخرى؛ و «حياة» و «حقيقة» من الآن فصاعدا تعنيان نفس الشيء، حينما تقال حولَهما «الحياة الحقة».

2. إنه أفلاطون الذي، تبعا لبارمِنيد، كرَّس ببراعة هذه الحياة الأخرى، هذه الحياة الانحِرافية التي تُفضي إلى «الحياة الحقة»، إلى درجة أنها تفرضها خطابا رئيسا في الفكر الأوروبي. لكن، لهذا السبب، ألم يعمل نفسه على تحريفها بطريقة ماكرة؟ لأنه، أولا وقبل كل شيء، بإسناد فقط هذه الحياة الأخرى إلى هؤلاء الذين يقضون حياتهم في الفلسفة، ألم يُضيق، بشكل غير سليم، حقل النشاط؟ لماذا نجد الرسام أو الشاعر لا يكونان، أيضا، من الذين ابتعدوا عن الحياة المشتركة، عن الحياة المحدودة والموسومة، من أجل أن يرجعا حياتهما استِكشافية؟ نفكر عند الحداثيين، في حيوات رامبو أو كوكان أو فان كوك ... غير أن هذا ألا يُساوي سلفا ماضيا بعيدا: الشاعر الأعمى، أو المُنجِّم المتجول، ألم يكن نفسه عرافا ضالا؟

إن كون أفلاطون لا يثِق في الرسامين والشعراء، وطرَد هؤلاء وقَلل من شأن أولئك، يُفهم أيضا أكثر انطلاقا من هذا الاستِبعاد السابق

الذي لا يذكُره. خاصة وهو يدعمُ هذه الحياة الأخرى بالاستِناد إلى الإلهي، من أجل بناء الحقيقة، ألم يقم نتيجة لذلك بتحريفها وخيانتها؟ ومع ذلك، إذا كان لا يعود مجددا داخل تكوين هذه المسافة، فإن أفلاطون يحددُ بوضوح النتيجة. بل إنه يثبتها (تيتاوس ، 172س- 176 ب): الفيلسوف يعيشُ بمعزِل عن الناس؛ وهو يسكُن المدينة، لا يعرفُ « ما هو الطريق الذي يقودُ إلى الساحة العمومية»؛ إذا كان جسدُه فعلا، هنا، فإن فكرَه يسبحُ بعيدا...

أكثر من أنه لا يقوم على تصنيف اجتماعي، فإن هذا الفصل بين طريقتين للعيش، لا يسمحُ به ، أولا وقبل كل شيء، بحُكم أخلاقي. إنه لا يتأسَّسُ باسم القيم، باسم القدرات الفطرية أو المواقف المعطاة، ولكنه ينبثقُ من الخَندق الوحيد الذي حُفر، من داخل الحياةِ نفسها، من بين أنماطٍ للحياة. التحليلُ لم يثِق هنا في أي تقسيم اثناني مبدئِي وفي اعتباطِيته. إنه ما تقضون فيه يوميا وقتكم، يقول لنا في الأساس أفلاطون، وهو ما يجعلُ ما تصبِحون عليه أنتم أنفُسكم فعليا؛ لا يوجد شيء آخر نتوسلُ إليه ويمكن أن تتوقفَ عليه حياتُك. إذا كنا لا «نختارُ» عن طريق الإسقاط أو عن طريق الاستباق حياتَنا، فإننا نختارُ، على العكس من ذلك، كل يوم، كل ساعة، فيم نقضِي يومنا، وعلى كل حال بماذا يتعلقُ فِكرنا. أن نكون على عجل دائما، تحت إكراه الاستعجال، أن لا ننشغِل سوى بشؤوننا، أن نظلَّ متمسِّكين بمصالِحنا، فإننا نُؤخر نمُو العَقل، «نُقلص» مجالَ حياتنا: تنكمشُ الحياة وتذبُل بهذا القليل من الامتِداد. ولكن، حين تأخذُ مسافة أكثر واتِّساعا في الرؤية، رؤيتُك –حياتُك–تنتشِر وتتوسعُ. النهوضُ،

التميُّز، هو انتِشار لبُعد آخر للحياة داخل الحياة. ننتقِل من وِجهة نظر خاصة، وإذن ضيقة، إلى وجهة نَظر عامة أو وجهة نظر «للكلية»: بعدم الانشِغال بنِزاعات الجِوار، ولكن بطرح السؤال حول ما هو الصحيح وغير الصحيح في ذاتِهما، بإعلائِهما إلى المُطلق، بازدراء نمائِم اليومي من أجل اعتبار التاريخ فقط بشكل سامٍ، على مرِّ القرون، نكون قد أعطَينا لعَقلنا كما لحِياتنا امتدادَهما الحقيقي. قُوَّة أفلاطون تكمُن في أنه يبينُ هكذا، بخلاف النَّزعة الأخلاقية التي يدعو لها، أن التَّجريد، بواسطة عمَل الفِكر، الذي يُعد، نتيجة لذلك، الطريقة الوحيدة للانعِزال، وذلك بفَك الارتِباط مع الحياة العادِية: بالارتِقاء بواسطة العَقل خارجَ المحدودية التي داخِلها تسمحُ الحياةُ لنفسها أن تُسَيجَ وتُسجَن بطريقة خسيسة. أو أن الحاجة المُلحة للمفهوم، بارتقائِه إلى وجهة نظر الكُل الوحدوي، مشتمِلا على المُختلِف، لا يستجيبُ فقط لحاجة المعرفة، ولكن أولا وقبل كُل شيء يُعد أخلاقيا وإذن، بدَعوة للوجود: إنه يُفضي، بواسطة وِجهة نظره المُتحررة، في الوقت ذاته إلى إمكانيةٍ أخرى للحَقيقة، وإلى إمكانيةٍ أخرى للحَياة – داخِلَها تولدُ «الحياةُ الحَقَّة».

زاوجَ أفلاطون بطريقة حاسِمة عُلو النظر وعلو الحَياة؛ لقد طَوى وفقَ نفس الزاوية سمُو الفِكر وسمُو الحَياة. أيضا هل كانت له كُل السُهولة لأن يُمثِّل تماما، بشَكل ساخرٍ، من جهة هؤلاء الذين يحبِسون أنفُسهم في الخطب «المُلتوية» للخِداع والإطْراء، ومن جهة أخرى، أولئك الذين يبلغُون تناغُم الأناشيد «التي تَحتفي بالحياة الحقة للآلهة وللرجال المباركين». ولكن، علام يدل إذن، هذا «الحقيقي» «للحياة

الحقة» الذي، لأول مرة في تاريخ الفكر، يستحضره أفلاطون هنا؟ لأن هذا **التجاوز** للضيق، للتافِه، للعادي، للمُبتذل، أفلاطون يستسلم لسهولة توجيهه، ليجد له لاحقا وجهة: لتمثيله بصفته انتِقالا من «الهنا» نحو «الهناك» الذي يجعَل منه «هروبا». من هنا نحو الهُناك، الارتفاع إلى الأعالي فورا..." من ثم، فإن هذا «الهروب»، يُدركُ مثل «تماهٍ مع الإلهي» ويتخذُ سرعة **التحويل**. بالتأكيد، هذا النوع من التماهي، أفلاطون يدركُه مثل واقعة أن يصبح «عادِلا ومُقدسا» عن طريق تعاوُن التأمل، وإذن، عمَلُ العقل. هذا السُّمو، يجب، إذن، أن يبدأ من الآن داخل جُهد الفكر؛ وكذلك، عِقاب الحيوات المُبتذلة، الحيوات بغَمامات ، حيوات ظَلت في أخدودها، يُختبرُ سلفا، تحت أنظارنا، ببُؤسها .... يبقى أن أفلاطون لم يستطِع أن يستغني عن الفَرضية، أي عن دعامة، من أجل التفكير في الحياة الحقَّة، عن مُستقبل في الجنة.

بصفته تلميذا نجيبا للأفلاطونية، أغوسطين سيُسمى «الحياة الحقة»، حياةَ الإله، الحياة الأولى، الحياة المثالية، الحياة المُباركة التي تحملُ الحياة إلى القمة. ومع ذلك، لماذا يجبُ أن نسجِّل من الآن فصاعدا، داخل «الوجود» أو داخل «الإله»، -الإرساء داخل خُلود الوجود أو البركة المطلقة للإله، أنطولوجيا وتيولوجيا-هذا البُعد الذي يُفتح عن طريق المسافة، عن طريق الفارِق وعن طريق الإرساء، من داخل الحياة نفسِها، من الداخل نفسِه للحياة، إلى حد إظهار شيء لا يمكن قياسُه في الوقت ذاته داخل الفكر وداخل الحياة؟ أو أن الابتِعاد هو على الرغم من ذلك هروب؟ «تحليقُ» الفكر مثل

«انطلاقِ» الحياة تُعد عباراتٍ قويةً، وجب تكرارها أيضا، تُستدعي في اليونان، من بندار إلى أفلاطون، ولا يجبُ أن تسمح لنفسها، بأن يُسدَل عليها السِّتار عن طريق الاستِعمال، وأولا وقبل كل شيء، لأنها تم ترسِيمُها بواسطة اللُّغة. ولكن يوجد هناك نوع من الإسدَال الذي استَسلَم له أفلاطون، مُورِّطا معه الفلسفة. لأن هذه القوة في الاقتِحام وهي تظهَر للعيان لحظيا داخل الفكر وداخل الحياة، أفلاطون كان مسكونا بعد ذلك بوضعِها داخل رؤية للعالم، هذه الأخيرة، تنادي نتيجة لذلك بوجود ما سيَصيرُ، فيما بعد، عالَما آخر. حينما تضيع حينئذ فضيلةُ الانفصال والاقتلاع التي أظهرتها المسافة، نتأرجحُ من جديد داخل التوافُق، مع احتِمال أن يُنقل هذا التوافُق من الآن فصاعدا، إلى الواقع "المطلق". لكن ، ألا نستطيع أن تصوَّر حياة تنزاحُ عن العادي وعن استِقالته بدون أن تجعلَ منه حياة «مثالية»، بدون إسنادِه إلى عالم المِثاليات ، وإذن، الوقوع في النزعة المثالية؟ وحتى فتح «حياة حَقة» عن طريق المسافة، ألم يشجُب نهائيا كل «توافُق»؟

3. ليس فقط هناك حياتان ممكنتان: الحياة المحدودة، الحياة المُمَعيرة والمُكيفة، الغارِقة في شَبه للحياة، والأخرى، الحياة التي أخذت مسافة من الأولى. ولكن أيضا لا توجد سِوى حياتَين ممكِنتين، هذه الحيوات تؤدي إلى بديل تحت التصدُّع الذي أنجِز بصمت: الحياة التي تطمحُ «للحياة الحقَّة»، التي تجعلُها المسافة استِكشافية، التي تكتشف حياة ما تحت التَّعافي، ما تحت الحالة الطبيعية التي تحجُبها، ما تحت التوافُق الذي يعززها؛ والحياة التي، تحت هذه الحالة الطبيعية، تحت ظِل هذه التوافُقية، لا تُعد سوى حياة مُتخيَّلة أو مُصطَنعة. من هنا، فإن

«الحقيقي»، يظهرُ أنه عكس ما نعتقدُ فيه عموما. الحياة الزائفةُ هي الحياة التي تعتقدُ أنها حقيقية لأنها تُعد الحياة التواضُعية، باتفاق مع المِعيار، لا تبتعِد عن هذا التطابُق، ولكنها تسجن وتتأكد داخله؛ الأخرى، على العكس من ذلك، لا تتوقفُ عن محاولة اختِراق هذه التواضُعية التي لا تتوقفُ عن تغطية الحياة وكذلك تعيقُ العقل. حين يقول نيكولا دوستايل[17] بأنه لا توجد سوى طريقتَين للعيش، طريقة عادِية، موسُومة، التي يمكن أن تكون أكثر «حقيقية»، والأخرى التي تُغامر خارج التواضُعية، فإنه يظهر إلى أي حد هذه «الحقيقة» عن طريق التواضُع، الحقيقة التي نريدُ أن نستسلم لها، التي تجيبُ عن التَّعريف التقليدي للحقيقة، تعدُّ كسولة وعقيمة. أو حين يكتب إنشتاين[18]: «هناك طريقتان فقط لتعيش حياتك، إما أن تفكر أن لا شيء يُعد معجزة، وإما أن تفكر أن كل شيء يعد معجزة»، إنه يجمعُ في نفس الجانب «اللا-معجزة»، التواضعية، العقلانية المصرَّح بها، حينما يسجن العقل نفسه داخل مشروعيته، وأن كل شيء يتمفصل ويجد تطابُقه، الذي لا يعد، في الواقع، سوى تكييف، من جهة أخرى الصعود البطولي خارج التواضُعية المطمْئِنة، المِعيارية التي تُطمئِن، حيث كل شيء منذ ذلك الحين – ولكن دون أن يقرنها باللا-عقلانية الكسولة مهما كانت قليلة-يصبحُ غير مسموع.

غير أن هاتَين الحياتين لا ترسُمان قطبين، أو طرفين قصيين، بينهما حيواتُنا لا تعملُ سوى على التأرجح، مقتربة أكثر من هذا القُطب أو من الآخر. لأن شَرخا يُحفَرُ بينهما، انطلاقا من الصدع الأول الذي

(17). رسام فرنسي من أصل روسي (1914-1955)

(18) .عالم الفيزياء النظرية(1879-1955).

يرتسم، حد يقوم بينهما، مما يجعلُ أنهما تميلان، إذن، لا محالة، نحو هذا الجانب أو الجانب الآخر. هناك الحيواتُ، أقول، بسقف منخفِض: حين لا شيء أبدا، يبرز منهما، (أو أن هذا يستعاد بسرعة)؛ لا تجرؤ (ولو على شكل رغبة طموحة)؛ لا تخاطر أبعد من ذلك: **الأخذ بزِمام** المُبادرة. من الحتمي، كما يقول ذلك أفلاطون، أنها ستكون مُنقادة إلى أن تنحنيَ وتتقلصَ؛ وهذا بالتأكيد، سيكون أول انشِقاق أخلاقي، بخلاف، نتيجة لذلك، كل ما استطَعنا أن نجمعه وأن نقابِله، تقليديا، داخل الأخلاق، تحت التَّعريفات المُعلنة «للخير» و «للشر». بين هذه الحياة التواضعية وبديلها، حوار ألم يعد مُستحيلا، مهما كانت الإرادة الحسنة التي نضعها في هذا الحوار؟ لأن هذه الحياة وهي "لا تنسجم "، ولا تقلع " ، تظل مثبتة على ما يظهر لها أنه مصلحتها ، تبقى مرتبطة بما يطمئنها ، مثل الحيوان ، في المرج الممكن، إلى وتدها. الحبلُ له طول معين لا يمكن تجاوزه. لن يذهب للرعي بعيدا، لأن الحبل ليس مطاطاً. حينما نقترب من شخص ما، هنا بالتأكيد السؤال الأول الذي نعملُ، باستثناء أنفسنا، على طرحه: ما هو طول الحبل الذي يجعلُه مُعلقا، الذي يمنعه من أن يبتعد أكثر؟ لأنه، من جهة أخرى، هناك حيوات لا نرى إطلاقا ما هو طول الحبل الذي يشدُّها. وحتى إن كان هناك حبل ما زال يشدُّها-ألا يوجدُ تحديد الفيلسوف (أو الرسام، أو الشاعر) : الذي جاء لقطع الحبل ؟ أو على الأقل يبحث بيأس للقيام بذلك، حتى وإن كان، بدوره، خائفا من ذلك.

حتى من أولئك الذين يريدون قَطْع الحَبل، نحترس؛ حتى فورا، داخل المجتمع، مهما قلنا، وحتى إن أقسمنا بالعكس، هؤلاء

سيكونون، فورا، مشتبها فيهم. سواء أقمنا لهم لا محالة بمحاكمة، ظاهرة أم لا ن والتي لن تكون دائما سوى محاكمة زائفة، وهو ما يرسخ المجتمع في تماسُكه. ولكن، في الوقت نفسه، يتسجَّلُ داخل قَلب الفلسفة مثل دَعوة، على الأقل إذا كانت " الفلسفة " لها معنى. لأنه ما يصنعُ "المجتمع «، ما يجعله مُتحِدا، هو التطابُق؛ هذا هو" الحقيقي " مؤسساً على التطابُق-في الوقت ذاته التكيُّف والقَبول-الذي تكون راضية عنه. المجتمع في تطوره الحديث، يستبدلُ، في الواقع ، السلوكي بالفِعل ، كما حلَّلت ذلك حنا أرندت؛ والحال أن السُّلوك هو ما يُدرك من الخارج. من هنا، فإن الظَّاهر، الشَّبه، **المزيَّف**، عناصِر تتم مأسَستها، فورا، بواسطة المُجتمع داخل الحياة. المجتمع الذي نُسهم فيه جميعا، وإذن، الذي نتحملُ فيه مسؤولية مُشتركة، يتحدُ، يتصالحُ داخل شَبه الحياة. إلى حد أن هذا الشبه يُزدَوَجُ وينحرِف. ليس فقط لا نعملُ سوى على التَّظاهر بأننا نعيشُ ونحنُ نعيشُ حياةَ التواضع المفروضة؛ ولكن خاصة نتظاهَر بأننا لا نعرفُ بأننا نتظاهر فقط ونحن نعيشُ بهذه الطريقة. بمعنى أننا نتوافقُ جماعيا على التظاهُر بالاعتِقاد في هذا الظَّاهر للحياة المُزيفة؛ كما لو أنها كانت الحَياة الحَقَّة. فيما يخص الانحِراف، يتوقفُ على أن المجتمع ينتظمُ أحسنَ فأحسن اليوم، من أجل اصطِناع المسافة التي يمكنُ أن تعيدَ الانفتاح على الحياة الحَقة، أن تشجبَ شبه الحياة، وسائل الإعلام تضمنُ، بنجَاح متزايد، وظيفة الاصطِناعية: لا تتوقَّف عن محاكاة الانحِراف وتتظاهَر بأنها تعارضُ التفكير المحافِظ، فيما يجعَلون من مناهضَة التفكير المحافِظ المُتقدم تفكيرا محافِظا مختُوما بشكل أفضل إلى حَد أنه وضِع تحت غِطاء الاحتِجاج المُعلن. كما لو أنهم يجرُؤون على مخالفَة الأفكار الجاهزة،

أنماط الحيواتِ الاعتِيادية، والابتِعاد عنها، في حين أنهم لا يعملون سِوى على تعزِيزها أكثر، والتصدِيق عليها والاستِفادة من هذا الاختِلاف المُصطَنع الذي يُعد سلفا، على الدَّوام، مُكيفا.

كذلك، وبما أن الحَياتين لا تستطيعان الاختِلاط، حينما تتواجد هاتان الحياتان داخل حياة واحدة، تتراكبان بطريقة مُحكمة، وهذا لا يمكنُ أن يفضيَ سوى إلى «حياة مزدوجة». إنسان **الحياة المزدوجة** يتناوبُ في حياته بين حياة عادية، حياة مبتذلة، الحياة التواضُعية وحتى الحياة التي تزايِدُ على هذه التواضُعية من أجل أن تَطمئِن، ومن جهة أخرى، حياة منشَقة تعارضُ هذه التواضُعية المُعلنة وتبتعِد عنها سِرا. «انحِراف» جنسي، أو علاقة مُتخَفية («العشيقة»...)، تصلُح له بسهولة سَندا من أجل مُحاولة هذا الاقتحام داخل التلاؤم الذي تحتضِر حياتُه داخلَه؛ ومحاولة، بصعوبة، إيجاد موطِئ قَدم من جديد داخل الحَياة الحقَّة. وهذا بطبيعة الحال ليس بدون انزِعاج، ليس بدون ضَيق شديد، الحياة العادية تُقنِّع الحياة الأخرى ولا تتحملُ مسؤوليتها: الحياة المزدوجَة التي، في انفِصالها، تُعاش بشكل سيِّء؛ والتي حين تكشَف كُليا، ينظَر إليها بشكل سَيء. نفاقُ التواضعية، حيث ينتصِر شبه الحياة، يشار إليه على صواب بالبنان بصِفته كاذبا. إلا أنها ليست المحاولة، في غالب الأحيان، الخَرقاء الشقية، ولكن على طريقتها الجريئة، هي فتح، مهما كلَّف الثمن، منفَذٍ ينقذُ من إعادة استِعادة الحياة الزائفة التي تحتَها تدفنُ الحياةُ نفسَها. المسافة المُنجزة ليست لها وظيفة التسلية فقط أو التنفيس، كما نريد أن نحمِل على التَّصديق بذلك، ولكنها ترسلُ إشارة نحو ضرورة البقاء. إن المساندة المستعارة بواسطة

هذه المسافة بالتأكيد قد حُرفت وتمت المخاطَرة بها، إخراجُها يُعد في أغلب الأحيان مثيرا للسُّخرية أو سَخيفا، كل شيء يُعاش في العار وأحيانا الاشمِئزاز، ولكن ليست هناك بطولة، بطولة أكثر حقيقية إلى حد أنها تُنكر، داخل هذا الجهد الميؤوس منه من أجل فتح فَجوة داخل شبه الحياة الذي استقَرَّ من الآن فصاعدا. داخل شبه الحياة ولا سيما الذي يُفضي إليه بسهولة الزواجُ، «العقدة» المُعلَن عنها من لدن المُجتمع، حيث «الخيانة»، معيشة داخل الخوف، «الحياةُ السيئة» المذمومة جدا، تُحاول أن تجد مهرَبا. لا يتعلقُ الأمر هنا بانحراف، هذه المرة، ولا، أبدا، بازدِواجية مُعينة للشخصية، ولكن الشَّبه سينقلِب، مثل سلاح ضد هذا الشبه، ضد القرين من أجل إفشالِه: الحياة المُعلنة بصفتها كاذبةً يمكنُ أن تكون المُحاولة الأخيرة، اليائِسة، الوحِيدة التي تظلُّ، من أجل محاولة خروج من الحَياة الزائفة التي تكذِب عن نفسِها كلَّ يوم بدون أن تعترِف بذلك –عددٌ كبيرٌ من الروايات حكَت ذلك.

غير أننا، ونحن نتابعُ شريطَ هذه الحياة التي تتخبَّطُ كما يتسَنَّى لها، بل وحتى بالكذِب والازدِواجية، من أجل مُحاولة القِيام بثقب في ما لم يعُد سوى ظاهرٍ للحياة، بدأنا بملاحظة ظهور ما يصنعُ جوهَر- المزعج جدا-الحياة. بيد أن الميتافيزيقا، منذ أفلاطون، وهي لا تجرُؤ على الاضطلاع بها، حاولَت، بكل ما في وُسعها، **استعادتَها**، هي أيضا، من أجل احتوائِها والسَّيطرة عليها. لأنه إذا كان فقط عن طريق «التَّماهي في الديني»، ونتيجة لذلك، عن طريق التطابُق مع نظام عادِل، للوجود أو للإله، يمكنُ للحياة أن تتأسَّس بصفتها «حياة حَقَّة»، هذه الحقيقة تُلصَق بالحياة من أجل تشكِيلها وفق صورتها-

مثل ضَمها لمصلَحتِها-ومُراقبتها. الظاهِر أو الشبه اللذان تم شجبُهما بالتحديد سمَحا لنفسيهِما بالانتِظام طَوعا مثل «خَسارة» للوجود؛ أو مثل «ابتعادٍ» عن الإله. لكن ماذا لو أن هذا التثبيت «بالوجود» أو «بالإله» المُؤسِّس للحقيقة، سيؤول في النِّهاية إلى التفكُّك؟ لو أن هذا النِّظام الميتافيزيقي سينقطِع، كما أرادَت ذلك الحداثَة، لو أن حياتَنا لم تعُد تجدُ قاعدة تستندُ إليها من أجل أن تُثبتَ عليها التطابُق، تتواضَع عليها وتتعزَّز، كيف ستُصبحُ الحياة آنذاك، كيف ستُصبحُ، إذن، «الحياة الحَقَّة»؟ أو في ماذا مازالت الحياة تتَّصلُ «بالحقيقة»؟

لأن الحياة، ولمَ لا، هل يمكنُ أن يكون لها تطابُق مع ذاتها؟ هل يمكنُ أن يكون هناك تطابُق للحياة مع الحياة؟ منذ ذلك الحين الذي يصبحُ فيه ذلك لا معنى له، الحياة، كما نعرفُ، وهي لا تتوقفُ عن أن يكون عليها، على العكس من ذلك، أن تفُك الارتِباط مع الحياة، من أجل أن تتطورَ إلى حياة، من الاجتِماعي فقط، وما يؤسسُه اتفاقيا من أخلاق، يمكن أن تأتيَ التواضُعيةُ التي وفقها تتشكلُ الحياة. من هنا، فإن **التواضُعية** في الماضي، الأنطو-تيولوجية التي تزعم أنها «ستنقِذ» الحياة، لا يمكنُ سوى أن تترُك المكان اليوم، وهي تفقِد دعامة تعاليها، **لتواضُعية** ذات معيارية وأخلاقِية مُصطنَعة، إعلامِية وجماعية، تخونُ الحياة من داخِلها وتختزلُها إلى حياة زائِفة. إلى حد أن الهَجر والانشِقاق عن الحياة لا يتوقفُ فقط على إنهاك، ولكن أيضا على **مُحاكاة** الحياة، حتى من داخِل الحياة، بتوليدِ، بدون المزيد من الحدود، اللا-حَياة. بينما أن الوجود «موجود» وما لا يمكِن ألا يوجَد، يطرحُ بهدوء الفِكر الكلاسيكي من أجل أن يؤسسَ «الحَياة الحقة»، وبينما، «وجود»

و«لا-وجود» يُعدان تناقُضيا منفصِلين، مع احتِمال المُطالبة، بعد ذلك، أن يُطرَحا جدَليا، هذه الشُّبهة أن الحياة لا تستطيعُ نفسُها أن لا «تحيا» تصبح منذ ذلك الحين التناقُض الرئيس، التناقُض المفتوح، التناقض الذي يُفضي أكثر إلى الصُّراخ بصمت، الحياة التي نُريد استعادتَها مهما كَلف الثَّمن، لأنها تتركُ الفردَ حائرا بقساوة. أو كيف نتخذُ داخِلها أيضا بُقعة ضوء؟

(III)

هي كذلك «الحياة الحقة»

"الحياة لا تَحيا"، هذا بلا شَك هو الملفوظ الأكثر رادِيكالية، و في الواقع، هو الأكثر تناقُضا الذي يمَس الحَياة. نظلُّ مُجمدين، ربما إلى الأبد صامتين أمام ما لا يمكنُ أن يكون له نظام، منذ ذلك الحين، سوى لغز: فالنَّفيُ موجود في الحياة نفسها. لدرجة أن كُل ما سنقولُه عنها سيكونُ دائمًا مجردَ المراوغَة -أو التَّخفيف -من هذا المأزِق. يتعلقُ الأمرُ هنا بالتناقُض الأكبر سرا وفي الوقت نفسه الأكثر وضوحا، والذي لا يمكنُنا أبدا التفكيرُ فيه بشكل كامل. فهو التناقُض الموجود في قلب الحياة وحوله تدورُ حيواتُنا. و قد نعتقدُ، في الواقع، أن الحياة "طبيعية" ، وأنها تتكشَّف من تلقاء نفسها و تتكاملُ كليا ضمن لَحظِيَّتِها ، و أن التناقُضات لا تأتي سِوى من خارِج الحياة ، تأتي بكثرة ، وفي وقت لاحق. الآن، بالنسبة لأولئك الذين يَعيشون، وهم نحن، هؤلاء الكائنات الحَية المنحرِفة، الحياة لا تتوقفُ أبدا عن الكَشف عن نفسها. و لا تتوقف عن خيانةِ نفسها، ولا تتوقفُ عن الفرار؛ ، بدلا من الإزهار؛ إنها لا تتوقفُ

أبدا عن التستُّر والاختِباء والحَجب و عن " تغييب" نفسها ؛ لا تتوقفُ عن أن تفلِت منا. للحياة، الحياة التي أعطيت لنا أصلا، هل لم يكُن لنا أبدا ولوج لها؟ أليست هي من البداية هاربة وضائعة؟ إننا نرَى-نعتقدُ-الحياة مثل ينبوع في دواخِلنا، والحال أن هذا **العيش** الذي هو مبدئِيا منا يعد دائما بالنسبة خارجَ النطاق. نظلُّ دائما في مسافة عن الحياة، التي مع ذلك نستمرُّ، مع ذلك، في المضي قدمًا وراءها. ومن هناك لا يمكن أن تكون لدينا تطلعات أخرى - وحنين آخر لها-أكثر من العَيش، والحال أن العَيش في حد ذاته هو الذي انخرطنا فيه منذ أمد بعيد.

الحياة تحددُ بشكل أساسي شرطَنا في الوجود؛ إلا أن الحياة في الوقت نفسه تعد بالنسبة لنا غير ممكنة. هذه هي الفجوة، أو بالأحرى الفجوة التي انطلاقا منها فقط يمكن أن يدرك وجودُنا، الفجوة التي لا نتوقف عن الرغبة في سدها، عادة، بواسطة الأخلاق أو الاعتقاد. لكن لن يتعلق الأمر هنا دائمًا سوى بجَص لصقات على الكَسر المفتوح والذي لا نعلَم كيف نعيدُ غلقَه. إذا كانت "الحياة لا تحيَا" هي الشعار التي نقشَه أدورنو[19] في بداية كتابه **"الحد الأدنى للأخلاق"** ولكن بدون أن يعلق عليه ، إذا كان الأمر يتعلقُ هنا بالعبارة التي تسكُن كتابه من بدايته لآخره ، و لكن دون أن يتوقفَ ليُسائِل هذا الشعار ، فلأن هذه ربما لا يمكن أن تُقال فعليا سوى بأن نتخطى ، بأن نعلِن و ننبه بخطورته لأن ذلك

(19). ادورنو (1903-1969)، فيلسوف وسوسيولوجي ألماني .

يسمح بتناول ما لا يمكنُ تناولُه ،كما أنه يقدم إشارة نحو ما هو غير ذي أهمية ، أو لا يحمِل معنى إلا في حدود الفكر : هناك بالضبط حيث ستبدأ "الحياة الحقة" ، التي لا نعيشُ منها دائمًا في حيواتِنا سوى الصورة الساخرة ، كما قال أدورنو. كاريكاتير، هذا يعني صورة تكشِف حيواتنا كما نعيشها -أو بالأحرى كما لا نعيشُها، كما لا نحيا داخلها. أو كما قال مرة أخرى أدورنو في صيغة ستصبحُ اتهامية لهذا الهَجر: " الحياةُ أصبحَت بمثابة إيديولوجيا لغيابِها الصريح".

أو أيضا " الحَياة الحقَّة تُعد غائِبة" ، يقولُ ذلك ليفيناس[20] على شكل صَدى ، و قد أخذه من رامبو ، دائما بين قوسين ، دائمًا في البداية ، مثل المظلة التي تحتها يفتح الفكر (الكلمات الأولى الكلية واللانهاية). في الواقع ، ألا يوجد سبب لطرح هذين اليهوديين العظيمين ، هذين الناجيين من وقت الهولوكوست ، يأتي هذان المنفيان و يوقظان على وجه السرعة هذا الموضوع الأفلاطوني القديم حول "الحياة الحاقة" ، حتى على النحو الذي يطرحونه في السؤال ، الواحد فالآخر ، الكلية المجردة ، موروثة أفلاطون ، هي التي تسيء إلى طبيعة الحياة فتتم خيانتها على الفور؟ كما لو لم تكن هناك مسارات أخرى، وإسعَافات أخرى ممكنة، حتى في حداثتنا، ولضمان البقاء على قيد الحياة، و كما لو كان من الضروري العودة إلى "الحياة الحقة "والتمسك بها، مثل الحاجز الأخير، احتراسا من

(20). إيمانويل لوفيناس (1905-1995) ، فيلسوف فرنسي من أصل ليتواني .

الكارثة والرعب حيث الإنسانية تكبدت فعلا خسارتها. لكن ، في نفس الوقت ، هذا قد بلغ أقصى قدر من انعدام الحياة في المخيمات ، وهذه هي النقطة الأكثر سقوطًا للإنسان في التاريخ ، أليس هذا هو الكشف عن جوهر الحياة التي نحياها و الذي يميل عادةً إلى الإخفاء ، أو على الأقل عدم القيام بتلك الضوضاء؟ "الحياة الحقة غائبة ، و نحن مازلنا موجودين في هذا العالم "، يبدأ ليفيناس مشيرًا بصرامة و مهاجما تمظهرات التناقض. ولكن إلى أي مدى، مرة أخرى ، يجب علينا أن نتمسك به؟ فلماذا يجب علينا على الفور، كما يفعل ليفيناس ، أن نواجه مرة أخرى هذا الغياب في "مكان آخر" ، وفقًا لـذريعة توقف عن الادعاء ، منذ أفلاطون ، والميتافيزيا ؟ "فالحياة الحقة" ، بمناقضتها لهذا التناقض ذاته ، والأكثر أهمية ، هو أن" الحياة لا نحياها "، أليس كذلك في الواقع ، أو على الأقل للتنبؤ بالنفس ، في هذه الحياة ، و في حضن الحياة؟ بما أنها الوحيدة ...

2-ولكن ما الذي تعنيه هذه "الحقة " ، إذا كان ذلك يهُم الحياة وليس مجرد جزء من المعرفة؟ وإذا كانت "الحقة" تتعارض مع "المزيفة" ، فكيف تكون هذه الحياة مزيفة، وألا يكفينا تزييفها؟ و ألا يوجد ما يحذر أدورنو من هذه الانزلاق الطائش في جدليته السلبية في أن يكون ذلك كإعادة إنتاج لحياة زائفة ، و مستمرة باعتبارها "حقة "، وهل يمكن إذن أن أكون مخطئًا بشأن هذه الحياة أم أننا سنكذب عليها؟ ربما ... ربما حتى هذه الكذبة ستكون ألى حد ما أصلية، أو على الأقل رجعية و لهذا فطالما استعصى علينا إدراكها. فهل يمكننا فعلا إدراك الهوة بين الحياة العادية و تلك

الحياة الموحدة والمحددة ، المحبوسة في حقيقتها الزائفة ، و ذلك من أجل معالجتها؟

على الأقل يمكننا أن نرى بالفعل أن الحياة لن تكون مزيفة بهذا المعنى المتداول و الظرفي و الآني ، و يمكن أن نقول بأننا خطونا خطوة خاطئة و ارتمينا في طريق خاطئ. هذا المعنى والذي يبقى تجريبيا يبقى خارجا عن الحياة نفسها و يمكن أن تكون "خاطئة" بالمعنى العادي ، ظرفية ولن يكون السؤال ، على الجانب الآخر ، للتنديد بهذا الزيف ، من وجهة نظر ستكون بعد ذلك ميتافيزيقية . فالوهم هو الذي سيكون الحياة في حد ذاتها. إنها ليست مسألة إعلان – إعلان مرة أخرى عن مناجاة – تلك الحياة التي لن تكون إلا وهما ، و بدون اتساق وجودي ، عابرة ، سريعة الزوال كما نعرفها ، وبالتالي لن تكون كذلك إلا مظهرا خارجيا.

إذا كان من الممكن أن تكون الحياة "زائفة" ، فهي ليست كذلك في الواقع ليس أن الحياة نفسها وهمية ، لكنها كذلك أننا أنفسنا لدينا وهم بأننا على قيد الحياة ، بينما ، في الواقع ، نحن "لا نحيا". ليس ذلك هو حياة المظهر فقط ، ولكن لأنني أعيش نفسي فقط مظهرا من مظاهر الحياة. هذه هي الحياة العادية جدا ، و المألوفة ، حيث تعتقد أنك تحيا ، ولكن بدون حياة و دون أن تشك في ذلك ، حتى دون أن تدري انحرافها و حتى دون التفكير في السؤال كيف سيكون الوضع إذا لم نتجاوز كيف ستكون الحياة ... و في نفس الوقت فنحن يظهر لنا فقط أننا نحيا الحياة و دون أخذ ذلك في

الاعتبار.

فالحياة المزيفة ، باعتبارها "حياة زائفة" ، تعني بالتالي أن الذي نعتبره جزءا من الحياة هو في الأصل لا يمت للحياة بصلة. و بعبارة أخرى ، فالحياة المزيفة توجد متخفية ضمن الحياة. و من هناك نعتبر أن "الحياة الحقة "، على النقيض من ذلك،هي الحياة الفعالة ، حيث - لها القوة في طرق الحياة من خلال القول بالفعل الحاضر – مادام الواحد يحيا "حقا". هذه هي الطريقة التي يتم بها تعريف "الحياة الحقة" رسميًا، عن طريق الانقلاب البسيط ، بدقة وليس أيديولوجيا ، مثل من يقتحم الحياة بتحريرها، عبر الانحراف ، عن مظاهر الحياة التي لا تتوقف أبدًا عن إفسادها و تغطيتها. كما هو الحال بالنسبة لجوهر حياتنا التي باتت فريسة للاحياة ، فالحياة الحقة نفسها تتأكد و تتحقق ، و تصبح ممكنة من خلال مقاومتها للاحياة ، هذه الأخيرة التي تهددها بالفعل ، و تقوضها ، و تقلدها و تنشأ داخلها.

إذا كان صحيحًا أن الحياة "لا تحيا" ، و ذلك لأنها دائما مهددة بالخيانة و المراوغة و بالضَّياع و التكذيب و الهروب و الإخفاء. فالحياة الحقة كنتيجة لذلك وبكل صراحة هي الحياة التي نحياها. و لن يكون هناك خروج من هذا اللغو المحيط بها، لأنه لا ندري كيف يُسمح به؟ و بدلا من ذلك ، سيكون من الضروري التمسك بالحياة و الاعتماد عليها ، من أجل الاستقرار ، والعيش ، وليس لتجاوزها ، وإلا فهناك خطر الوقوع في متاهة لا حصر لها من إيديولوجيات

الحياة التي تبعثر الفكر و لا تتوقف عن استهلاك الحياة. لأن للمضي قدما يعني فقط أن الحياة "الحقة" هي "أن تحيا حقا" و أن عبارة "الحقة" لا تؤهلنا كي نتكلم و نحيا مادامت هذه الحية هي فقط تنبؤية و غير منسوبة و مضافة، و لكن تحمل في طياتها تزمينا للحياة و بهذا وجب علينا مواجهة متطلباتها من داخلها. فالحياة الحقة تكشف على أنها مجرد حُكم ، حكم حقيقي سيحمل على الحياة ، حكم يقوم حقيقة الحياة ليضعها أمام وجهات نظر و هذا لا يخص طبعا إيجاد أجوبة للسؤال المعروف و القديم و الذي لم نخرج من حصاره لنا أبدا: ما هو التصور (الأبيقوري أو الرواقي أو المسيحي) الذي سيكون الأكثر تناسبا، و الوحيد المناسب لملامسة الحياة؟ ولأن هذا السؤال أخرج الحياة بلا رجعة من حقيقتها و خانها. فإذا كانت الحياة الحقة هي ليست تلك الحياة التي أحكم عليها بأنها حقة فإنني سقطت مسبقا تحت سلطة هذا الحكم و بدون عودة و صرت بذلك مخفيا و منفيا.

3- و أيضا و أقل من ذلك هو أن التفكير في أن الحقيقة يمكن أن تنير الحياة، و أن بعض الحقيقة يمكن أن يكون بعيدا قليلاً عن هذا الخارج – من هذا التراكم – يمكن أن يقودها. أليس هذا ما نود أكثر في أن كل شيء ينقذها سيريحنا: ضع في الحسبان أن بعض الحقيقة التي يمكننا اتباعها هي من تضع الحياة في الأمان؟ لكن ما هو مطلوب هنا منذ البداية هو أن نرفض كونها على المسار الخطأ ، ولكن ومع ذلك ، هذا الأمر هو الذي داس على الفلسفة، وهو أن الحياة يمكن فهمها على أنها امتدادا – ووفاء – للحقيقة ؛ حيث

يمكن لهذه الحقيقة أن تجد مجالاً للتطبيق – و التجسيد – في الحياة. ففعل الحياة لا فعل آخر يرادفه ، و لا فعل يقاربه، و كل الأفعال الأخرى لا تنفتح إلا عليه. لكنها حقيقة الخطاب وجدليته والذي يفرض عليه الاختلاط بالأفعال الأخرى ، وبالتالي إجباره على الاحتكاك معها لمحاولة تجاوز الفوارق الكبرى بين هذا الفعل و هذه الأفعال الأخرى كي لا تبقى بلاقيمة ،و بالتالي فإننا نخرجه من قوقعته و نخونه و نغطيه كرها بتلك الحقيقة. أو أننا نفكر في كون هذه الحياة ليست هي أن نعلن عن بساطتها و لكن وجب البقاء متيقظين حيال اعتبارها. و لكي نبقى حريسين تجاهها و لكي لا نشحن الحياة في الحقيقة التي تقودها ، و لكي لا نجعل الحياة كخلاصة للنتائج ، و ألا نفترض أي حقيقة تؤسس للحياة كي تقودها ، و لكن يجب أن نركز على هذا التصور الذي يعتبر أن هذا هو ما يهدد الحياة. و نتيجة لذلك فإن الحياة الحقة لن تكون بأي شكل أو بآخر كنموذج أمثل للحياة و لا تكيس لكل ما هو حيوي. إنها تنفلت من هذين الخيارين المتواليين و الذي تنبأت الفلسفة بكونهما يمجدان و ينقدان الحياة. فالحياة الحقة ليست هي تلك الحياة التي نحلم دوما بتحقيقها كحياة فِردوسية و متكاملة، تلك الحياة التي تصل درجة مثلى مثلما تصورتها مثالية أفلاطون حيث الخلاص التام ، و حيث يعتقد الكائن في وجود الله كحقيقة مطلقة. و لكنها ليست تلك الحياة التي تعطي القيمة ، و هو ما يعني الحكم الذي يقر من خلاله نيتشه في قلبه لكل تلك القيم و عبر تركيزه على مبدأ إرادة القوة ، أي أن نأخذها هنا و الآن و بكل بساطة و بإذعَان

ذاتي صرف في أقصى وفرتها و شدتها. وبصيغة أخرى يمكننا القول بأن الحياة الحقة لا تضطرب إلا في مثاليتها و في جانب من حيويتها. لكنها هي تلك الحياة التي تقف بالمرصاد لكل ماهو خفي في اللاحياة داخل الحياة. و يجب أن نعلن عن ذلك لنتحرر منها و من القوى التي تخفيها. فإذا لم تكن الحياة الحقة هي ذلك الاكتشاف لحياة أخرى في العالم الآخر كما بيته الميتافيزيقا فإنها لن تكون بشكل آخر تلك الحياة التي بشر بها زرادشت. و بهذا فكل ما يغطي الحياة و يقنّعها فإنه يقلصها لتصبح شبه حياة ضمن حياة مزيفة، و بعبارة أكثر دقة ، فالحياة الحقة هي ليست تلك الحياة المستقاة من محدداتها الإيجابية التي أسسها علم الوجود و هي مخفية تحت تلك الأقنعة فيعطيها حينها قيمة و حقيقة. لكنها تتكون من كل شيء بالكامل في هذا الاكتشاف بالذات: في هذا الجهد الذي لا يتوقف عن التراجع والإزالة، في أي لحظة، و بنشاط، خلال الحياة ، يخفي ويقلل و يزيف الحياة - يجعل حياتنا "كاريكاتيرا" أو في الواقع يغيّب الحياة. وعندما استسلمنا لهذا الوضع ، في الواقع ، ربما كان هو الشرط الوحيد الموجود جوهريا ، وهو غير مضاف أيديولوجيًا ، و بما أنها هي في مبدأها الأخلاقي تستقر اللاحياة و تنتعش داخل الحياة ؛ و كنتيجة لذلك يتهدم الخلود الأخلاقي.

4-و أيضا هل إذا كانت اللاحياة هي الحياة التي تُركت لتقنع و تُزيف و تخرج من طبيعتها فإن الحياة لن تعود إذن إلى الحياة المحررة؟ الحياة التي نجدها-مفتوحة بفرق شاسع عن الحياة التي عشناها – مقيدة و مشروطة و المحتضنة لمعيقات منذ زمن و التي

ألفناها-و دون أن نتخذ أي إجراء للتمرد عليها...نأوي إليها كل مساء كشخصيات رواية لا يمتون للحقيقة بصلة ، و ومن رواية تصور الحياة بعيدا عن الحياة و بشكل غريب دون تفكير في الأمر. و لم يستطع أن يمنع: اقتصار العمل على وظيفة لم تعد تعكس نفسها ؛ أو الزواج في مجتمع لا حرية فيه ليختار زوجته. الأول يحافظ على مظهر من النشاط الذي لم يعد بإمكانه إخفاء ما يثيره في عدم الاهتمام والإرهاق ؛ مثل الثاني في مظهر من مظاهر الاتحاد الذي لم يعد بإمكانه إخفاء الاعتبار المفقود ولا ما يكمن الآن هناك من حرب مصالح.

أليست الحياة الحقة هي التي ستنقذ نفسها من هذا التوافق المفروض، في العلن كما في الخصوصية؟ وألن تكون هذه الحياة الحقة، وفقًا لهذا الحساب، حياة جرداء، حياة بدون روابط، حياة بدون ممتلكات وأمتعة، حياة قبل ملكية، حياة "روسوية "[21]متحررة من قيودها وتوابعها: الحياة غير المقيدة؟ أليست الحياة الحقة هي الحياة التي تعرف كيف تطرد نفسها؟ ألن تكون الحضارة أولى المعافين؟ ولكن هل يكفي، لكل ذلك، التفكير في الحياة الحقة، والتفكير في الحياة "النقية"، فتعود الحياة إلى طبيعتها؟

هل هذه الأصالة التي نرغب في إعادة الانضمام إليها ليست نتاجًا للوهم بأثر رجعي: لوهم الطبيعة المفقودة واستردادها؟ إذا كان ذلك ضروريًا فقط عن طريق إطلاق النار ، في يوم من الأيام ،

(21). نسبة إلى فكر جون جاك روسو، الفيلسوف الفرنسي (1712-1778)

إذا كان من الضروري فقط المغادرة ... الطريق ... ولكن أليس هذه إعادة للحياة ، سواء كانت فردية أو جماعية ، إلى حالة لم تعد فيها ميتافيزيقية ، و تصبح أيضا أسطورية ؟ فأي فردوس أيضا ليس هو الحياة الحقيقية.

لأنه كيف نعود إذن إلى أي حياة يمكن أن تكون في هذا الجانب من التعافي؟ الحياة الحقة هي تلك التي لم تعد تسمح لنفسها بأن تختبئ تحت جهاز الحضارة المقيَّد، أو انسجام المجتمع، ولا حتى الخيارات والآراء التي تُحرج بها الحياة باستمرار -ولكن كيف تقترب منها؟ أين تجدها؟ حتى أفضل مما كانت عليه في "حالة الطبيعة" لروسو، لم نتمكن من الوصول التام لها ، من خلال توسيع مجال بحثنا ، أي من خلال تجاوز ، كما يجب علينا من الآن فصاعدًا ، إطار الفلسفة الأوروبية - ولكن بدون غرابة ، دون استسلام لسهولة المقارنة - مع أولئك الذين تسميهم الطاوية في الصين (حرفيًا) الرجال الحقيقيين. لقد وسعوا هم أيضًا الفجوة ، والعيش بعيدًا عن بعضهم البعض ، وفعلوا كل شيء لكسر التقيد بالامتثال وقبل كل شيء مع الطقوس. فهي لا تسمح فقط بدفن الطبيعي تحت المصطنع ، ولكنها تبدو بالفعل استراتيجية بارعة ودقيقة ومثمرة لفك الأغلال. هذا سيتيح لهم ، الهروب من طرف واحد ، و ألا يسقطوا في نقيضه. لن تسمح الحياة بعد الآن بأن تخفي نفسها في ظل اعتباطية التحديدات العكسية القادمة لتقسيم ما تحتويه والذي هو موحد في جوهره ؛ سوف تحافظ على "التواصل" المستمر مع نفسها من خلال تنوعها. في هذه الحياة التي لم يعد من الممكن

فصلها ، يقال إن "الرجل الحقيقي" سيكون قادرًا على "التطور" وفقًا لإمكانياته التي أعيد اكتشافها. حتى لو بقيت العديد من العناصر الأسطورية في هذه الصورة لـ "الرجال الحقيقيين" للطاوية ، حتى لو لم يختف أثر العصر الذهبي ، فإننا نتعرف فيها على فن تحييد الأضداد التي لم تعد تسمح بها الحياة هناك. متنكرا تحت نير الانقسامات ؛ وبالتالي يهرب من فخ الحقيقة الذي يسمح لنفسه بأن يكون "مخفيًا" تحتها. لأنه هنا كانت أخطائهم، وتجاوزاتهم، وهم لا يندمون عليها، وكذلك نجاحهم، لا يستفيدون منه - أولم يكن هذا التمييز مبالغًا فيه؟ لذلك لن يأتي أي ارتباط أو رفض لإخفاء الحياة، ولا حتى الحياة والموت: فهم لم يفرحوا بظهورهم، ولم يرفضوا اختفائهم؛ "غادروا براحة، جاؤوا براحة، وهذا كل شيء" (زهانكزي[22] ، الفصل 6). ماذا سنضيف ، في الواقع ، وهذا لم يصلح مثل **غطاء فعلي**؟

والآن، إذا فُهمت الحياة الحقة على أنها حياة متحررة، فإنها تبدو بقدر ما يتم به التصور الأخير ، من بين هؤلاء "الرجال الحقيقيين" للطاوية ، من زاوية حريتنا ، كما ننتظر ، يُفهم الأخير على أنه قطع مع الضرورة الداخلية للتجربة وتكييفها. ولكن بدلاً من ذلك من زاوية ما سوف نطلق عليه تباين الإتاحة (أفضل من "التصرف" ، فهو ثابت بالفعل). ذا الأخير يجعل من الممكن احتضان الحياة في اتساعها ، وتناوب "مواسمها" ، تتطور كما تشاء في الكمبيوتر دون

(22). نص صيني قديم، يعود لمرحلة ما بين 476-221 ق.م. به مرويات حول طبيعة الطاوي المثالي.

السماح للحياة بأن تُدفن في ظل لعبة التناقضات المزيفة. لا يلتصِقون ولا يغادِرون: لا يلتصِقون ببعضهم البعض ولا يستبعِدون ؛ لا يستعبِدون أنفسهم للعلاقات ولا يتخَلون عنها. لا العالم ولا الصحراء ... هؤلاء الرجال "الحقيقيون" سيرحبون بالحياة المتدفقة من نفسها، دون جمود أو تبعية ، في مظهرها ، وبعبارة أخرى ما لم نتوقف عن الإشارة إليه ، في أوروبا ، على أنه " المحايثة "، فإن هذا الجوهر يفلت من الفكر بقدر ما يهرب من الإرادة. الآن ، ليس فقط لأن الحضارة الصينية تطورت تحت غطاء كثيف من الطقوس والجماعة ، فقد تم إنتاج رد فعل عنيف ، بهذه الطريقة المتقنة ، فيما يسمى عمومًا بـ"الطاوية" ، مثل هذ الأيديولوجية المضادة من أجل فك القيود. ألن يكون من الضروري العودة إلى أبعد من ذلك لشرح هذا، أي أن نقول أن اللغة الصينية نفسها غير قادرة على البناء، وليس تقديم جملتها إلى بنيتنا النحوية هو الذي يأمرنا ويخضعنا، وبالتالي يظل متاحًا، ومرتاحا أيضًا، أو بالأحرى، حتى لا يتم ترسيم الحدود والحكم، حتى لا تختار، ولكن للسماح بالتواصل والمرور: للسماح بتدفق الحياة دون إخفاءها؟ أليست اللغة هي أولاً وقبل كل شيء، حتى قبل جهاز الحضارة، هي ما يغطي الحياة، أو ربما ستبعدنا عن "الحياة الحقة"؟

5-في الواقع، فإن هذا الشك الذي يتشكل، ويلامس "حقيقة" الحياة الحقَّة، ألن يتطلب ذلك الذهاب إلى أبعد من ترك اللغة التي نفكر بها ، و نفهم بها منذ البداية، بمجرد أن نبدأ الحديث عن "الحياة"؟ ألا يتطلب الأمر أن يتم تحرير هذه الفجوة مسبقًا، ولكن

هذه المرة فجوة اللغات، للبدء في تحرير الحياة من أي لغة، و من كل لغة ، لأننا بمجرد أن نقول شيء ما عنها ، يتم التنبؤ به قبليا دائمًا ؟ ألن يكون جهازًا لقواعد النحو على وجه الخصوص حيث يبدأ المرء في التفكير به ، والذي من خلال تركيبه وقوانينه الصارمة سيبدأ في دفن الحياة وإخفاءها؟ إلى أي حد لا ينبغي لنا، في الواقع، أن نكشف الجملة، ونلغيها ونحررها من التصحيحات العقلية، لنبدأ في سماع الحياة [التي] تأتي ، تأتي كما تأتي ، الحياة [التي] تعاش ، هي التي ستكون في النهاية الحياة الحقة ، التي لا تحجبها بعض القواعد اللفظية المفروضة ، بمجرد ذكرها ، و التي قنَّنتها مسبقا؟ ألن تكون لغة ما مثل اللغة الصينية أكثر ملاءمة من لغاتنا الأوروبية، لاقتراح الحياة في مستقبلها، شاملة كما هي ، من خلال تفريغ كل شيء محكوم ، و كل شيء مبني ، مثل ضيف ثقيل على ماء بحيرة ، و في يوم من الأيام و نحن في قاربنا ، فهل يمكننا استضافته؟ لقد تم استبدال التركيب البنيوي والمنعزل للجملة في اللغات الأوروبية حتى يكون له ارتباط يسمح بالتناوُب، والسماح لها بالانتشار ، والسماح لها بالاستجابة ، ثم بالتنفس والتوسع.

ضيف ثقيل يُستضاف في قارب خفيف

Léger embarcation accueillir haut hôte

客 上 迎 舸 輕

يأتي فوق بُحيرة هادِئة بعيدة

Loin - tranquille lac au-dessus venir [...]

來 上 湖 悠 悠

فهذا الكلام مقتضب (مقطع رُباعي و به خمسة أجزاء) ، و بصورة بالكاد مخطوطة. وهذا يقتصر على عدم إثبات أي شيء أو تجميده أو تحديد موضوعاته فحسب، بل هناك التحديد أيضًا، و كذلك الاقصاء ، الذي سيدفعنا دائمًا إلى الشك فيما يخفيه باعتباطيته و التي تكاد تبدده. أو بالأحرى لم نبدأ في ملاحظته. فهذا الكلام بالكاد يعلن أنه كلام عادي و كما ترجمته صدفة من المعجم. (ريتشي[23] . ص1105): 1-الهدوء والسكينة ؛ 2 - بعيد ، بعيدا ؛ 3 - متأمل ، ظلمائي 4 - ببطء شديد حلو؛ بدون التواء (الشكل) ؛ 5 - الفراشة العائمة غير المستقرة ". وأفضل في الموسوعة "الصينية" للتعويذات منه عند بورخيس[24]، والتي بها بدأ فوكو[25] في كتابه **"الكلمات والأشياء"**، هذه الكلمة الأكثر مراوغة، غير محددة ولكن مكررة، تترك المجال الدلالي مفتوحًا، غير مصنف، غير ملائم، غير خاضع للحكم وغير مستقر. كل هذه المعاني تشير أيضًا - ربما وبشكل متناسب ، بطريقة غير طائفية - إلى حدث المجيء ، وانبعاث الحياة ، أكثر في منبعها أو من مصدرها، دون البدء في الدخول في هذه الفروق التي ترتب وتقسم - الأنواع أو الصيغ ، أو حتى ذاتية وموضوعية ، وسليمة ومجازية. إنهم يتأهبون فقط لهذه اللحظة عندما يُسمع عن مجيء الحياة في قوتها الصافية عند انبعاثها أو ، كما قلنا ، في أوروبا ، في محاولة لإعادة الانضمام إلى التجربة الأصلية ، "الظاهراتية". لكن ألا يزال هذا

---

(23). مُعجم اللغة الصينية، (المُعجم الكبير).

(24). خورخي لويس بورخيس (1899-1986)، الكاتب الأرجنتيني.

(25). ميشيل فوكو(1926-1984)، الفيلسوف الفرنسي.

المصطلح بالذات يخلق حِجابا بشكل لا يمكن إصلاحه من خلال تجريده؟ ألا يتداخل بعد؟ إذن فإن:

واجهة المعرض التي تواجهُ كأس النبيذ
Face galerie vis-à-vis verre vin
當軒對樽酒
أربعة جوانب مفتوحة
lo-tus s'ouvrir côtés Quatre
面芙蓉開四

هذا المجيءُ، هذا المجيء إلى الحَياة، في أصالِتها، **لحظتها** النقية، يسمح لنفسها بالتفرّد دون الحاجة إلى تبرير نفسها. لا لبس ولا شرط هناك. لا مزيد من اللامبالاة من السببية. هناك قادم إلى العالم، قادم إلى حياة العالم. يمكن سماع مجيئها هناك في أقرب وقت ممكن من بعثها. على عتبة غير ملطخة بالكلام: قبل أن يفسح المجال للوصف إلى جانب الانصباب. ولكن بما أنه من الصعب القول من خلال هذه الصياغات التي تدل على الكلام إلى الأبد والتي تغطي ... هذا هو السبب في أن "الشعر" وحده هو الذي يستطيع التقاطه. التقاط ما ليس "ماذا" ، شيئا (مقايضة التصميم و "الجاذبية") ، ولكن إحضاره إلى الحياة في وضوحه: سواء في الاجتماع بين الأصدقاء الذين يجدون أنفسهم في مواجهة وجهاً لوجه كزهرة اللوتس تنفتح في الماء.

في أوروبا، تحدثنا في أحسن الأحوال عن "التَّهور" لوصف هذا

التوافر الذي من خلاله يمكن للمرء أن يلتقط "الحياة الحقة" المحررة مما يغطيها سواء في اللغة أو في المجتمع. لكن هل سيكون هذا كافيا؟ هل يكفي فصل توافر "الاهتمام" الأساسي لقول هذا السلوك دون قيود ولن - أو حتى "القصد" فقط - السماح بالتدفق، والسماح للحياة بالظهور في معاصرتها الخالصة وتحت هدف استعادتها؟ سيكون هناك، على أي حال، ما يكفي لتحطيم الإطار الأيديولوجي الذي هو إطارنا، في أوروبا، الذي تم تلخيصه على يد هيدجر[26] ، عندما نضع هذا العيش تحت منظور الوجود، "الوجود هناك". إبراز نفسه "تجاه قوته الموجودة ، و لذلك دائمًا هناك عالم آخر للنفس. و لأنه من الضروري بعد ذلك ملاحظة استحالة أن يواجه هايدجر التفكير في الحياة حسب الرغبة حيث فكر الفكر الطاوي في الحياة الحاقة ، و حتى لو تعامل معها بشكل موضوعي ، حتى يبدو أنه يعبرها هنا. و به علينا أن نقيس عدم توفرها المنطقي - أليس هذا عدم توفرنا نحن أيضًا؟ - و أن يكون هناك تصور في حد ذاته كافٍ للحياة يستطيع أن ينقل إلى "الميل" للحياة (بالصينية) ، أو "التخلي عنه" ، كما يقول هايدجر بوضوح ، ولكن فقط بالتوازي مع "ضغط" الرغبة ، و أن يكون هناك الابتعاد في علاقة بالميول إذ أنه حتى الفكر المتأخر الهادئ لن يحقق ذلك). و لأن هذا الميل إلى "السماح لنفسه بالحياة وفقًا للعالم" ، ألن يكون هذا أكثر من "تعثر مثلما استنكره هايدجر ، و حتى لو حرص بعد ذلك على عدم نشر الأخلاق؟ هذا على وجه التحديد لأن القدرة على

(26). هيدجر ،(1976-1989) ، الفيلسوف الألماني.

الوجود سيتم بالفعل تعديلها هناك ضمن رغبتها في الوجود، وبعبارة أخرى ما الذي يتصوره الغرب بشكل جازم على أنه "حريتهم"؟

و الآن سيكون من الضروري فهم انبعاث الحياة و هي تتكشف في لحظة صافية – وبالتالي عدم السماح لنفسها بالتقلص والتلوث سواء من قبلها أو بعدها ، وبالتالي عدم السماح لنفسها بإعادة امتصاصها في وظيفة الوقت كنهاية لها – للبدء في التراجع عن الرذيلة التي سمحت فيها الحياة الدرامية الأوروبية التي تخفي نفسها بالانكماش. والتي ربما نكون قد تركناها تضيع منا في أوروبا ، دون أن ندرك ذلك ، و دون أن نفكر في "الحياة الحقة". لأن الحياة لم يعد لها ما يبررها منذ ذلك الحين، في المنظور الأوروبي، ودون أن نعرف إلى ما تنحو نحوه، (ووزوwozu) المآل (هدف الإغريق منذ مدة) هو فقط مستقبل منتظر لإنقاذ الحاضر المخيب للآمال. ومع ذلك، في نفس الوقت، بمجرد وصولنا إلى توقع البحث هذا، نشعر بالاشمئزاز منه ، لأننا لم نتوقف عن تكراره ؛ و عدم الانفلات من خيبة أمله. لقد ترك الفكر الكلاسيكي في أوروبا نفسه مسجونًا في هذا التناقض العقيم ، بينما نجح الفكر الطاوي في تجنبه بحكمة. في الوقت نفسه ، من خلال إزالة كل التناقض ، وعدم الشك في خصوبته المحتملة ، فأي جانب ستر الفكر الطاوي نفسه عنه كي يبقى محصنا؟ لقد رفض التفكير في التناقض، أولم يحكم على نفسه بأن يسقط بدوره في أيديولوجية ("التوافق" و "الانسجام") التي أثرت بشدة على التاريخ الصيني؟ على أية حال، فقد ولد، بلا شك

، بشكل هامشي ، وظيفته بتعبير آخر هو الخمود للفكر كما حال الجمود في المجتمع.

6-يجب أن نتفق أيضًا على هذا الاكتشاف الذي استنتجناه، والذي بفضله يمكننا استعادة الحياة الحقة. أولاً وقبل كل شيء ، على أي مستوى ، بين الواقعية والمثل الأعلى ،وبين التجريبي والمبدئي ، يجب أن نصنفه؟ لأن الحياة الحقة ، من ناحية ، ليست هي حقيقة "الحياة" ، ناهيك عن حقيقة جوانب الحياة. ولا يمكن اختزاله في هذا الخطاب "الحقيقي" الذي يظهر الحياة "كما هي" ، على عكس ما نقول عنه بشكل شائع أو خاطئ. يتعلق الأمر فقط بـ "خطاب الحقيقة" عند بلزاك[27] الذي يتلفظ به فوترين إلى راستينياك [28]، على عكس ما تريد التربية منا أن نؤمن به، فإن الحياة ليست سوى علاقة قوة ، صراع حياة أو موت من أجل الرضا الذي نتمسك به ونخفيه بشكل متواضع. بعبارة أخرى، "فالحياة الحقة " هي ليست فقط معيارا لقياس الحياة. إن التستر هو افتراس للحياة، والذي تندد به الحياة الواقعية ، لا يقتصر على الأخلاق الاجتماعية والامتثال والنفاق. يظل خطاب إزالة الغموض هذا حكميًا ، في الواقع ، من خلال شجب الحياة كما هي مزيفة. إنه يسلط الضوء على المظهر الذي يخفي حرب المصالح ، كما لو كانت على المحك في المجتمع ، ولكن ليس مظهر الحياة الذي يفقد فيه الحياة الأصلية ، أو حتى يضيع منذ البداية. في الحياة الحقة ، لا يتعلق الأمر فقط

(27). بلزاك (1799-1850)، الروائي الفرنسي.

(28). شخصيات روائية للروائي بلزاك، تظهر في كثير من أعماله.

بالوضوح الذي يأتي مع تقدم العمر ، بل يمكن أن ينمو مع الصعوبات التي نواجهُها. ولكن في الواقع من التناقض الداخلي الذي لم ننجح أبدًا في التفكير في الحقيقة تمامًا: أن الحياة فريسة ، ليس كثيرًا - بشكل ثانوي - للدناءة أو الجشع كما - بشكل أساسي - إلى اللاحياة في الحياة ، والتي لا تتوقف أبدًا عن السماح لنفسها أن تكون مغطاة وغائبة.

و هذا لإدراك أن الحياة الحقة ليست مفهومًا تجريبيًا يقتصر على تقديم الحياة بطريقة واقعية ، بطريقة ساخرة أو على الأقل متشككة وفيها خيبة الأمل ؛ وإلا فسيكون هذا فقط مجرد مؤشر أو واحد من الأعراض. وهذا حتى عندما نكون حريصين على عدم إعادته ، إلى الجانب الآخر ، لنقيضه ، فإن المفهوم المثالي للميتافيزيقا ، مثل هذا ، منذ أفلاطون إلى ليفيناس ، قد صاغه وطوره. ولأن مفهوم الحياة الحقة هذا لا يسمح لنفسه بأن يقتصر فقط على حالة العالم كما هي ، ولا يستقطب أي مكان آخر ، إلى "هناك" خارج العالم ، مع بعض "وضوح الحقيقة" حيث سيجد مكانه. ومن أين يمكن بعد ذلك التنديد - وبسهولة - بما هو الآن مجرد مظهر للحياة. هذا هو السبب في أنني سأقول إنها **ميتافيزيقية** بالحد الأدنى: تهاجم أسوار العالم و تهدم التجربة ، وبالتالي **لا تسمح باختزال التجربة إلى التجريبية.** ولكن بدون مناشدة ، مع كل ذلك ، لعالم آخر وتجربة أخرى ، وبالتالي لا تمنحك الفرصة للانقلاب إلى ما وراء الميتافيزيقيا. فمن أين يأتي التناقض الذي يميز حياة الإنسان بشكل سلبي ، ولكن من أين يتم اكتشاف الخصوبة أيضًا ، بمعنى آخر ، فالمستقبل هو الحياة

التي بقدر ما هي بشرية "لا نحياها" ؛ ولكن ، بالتحديد من حيث كونها "بشرية" وليست حية - وهي تناضل في الأصل في غمار هذا التناقض - يمكنها أيضًا تعزيز نفسها هناك ، من خلال الاضطرار إلى الإبقاء على نفسها خارج (أخت سابقة) لاستردادها وإنكارها. بحيث تكون استحالة الحياة في هذا الجانب - المهد - لجميع الظروف الخاصة ، أو تشكل الشرط الأول لما سنسميه من الآن فصاعدًا ، بمعنى جديد ، "الوجود". من أين تأتينا فكرة أن الحياة البشرية كلها مجال استقصاء بحثًا عن الحياة الحقة وهذا من حيث المبدأ. لكن بدون هذا المسعى الذي يقود إلى معطى كينونة الله المطلقة كحقيقة ثابتة، والتي سوف نتجه نحوها و نؤمن بها.

وبالتالي ، فإن ما نبدأ في إدراكه ، ضمنيًا ، من خلال الاقصاء المتبادل والسلبيّ ، هو ماهية "الحياة الحقّة": التي لن نسمح لها بامتصاصنا بطريقة أو بأخرى. ولا في التجريبية ، التي لا يمكن اختزال الخبرة فيها ؛ ولا في مثالية الميتافيزيقا التي تخون الفائض الداخلي لهذه التجربة بما يمكن التغلب عليه - فهذا يطمح بعد ذلك إلى "تحقيق" حياة كاملة ، ولكن سيتساءل عما إذا كان لا يزال يحيا: إذا لم يكن كذلك فالعودة ، بطريقتها الخاصة ، إلى اللا حياة. لأن الحياة الحقة لا تتحقق أكثر من كونها حياة واقعية ، ولا تترك شيئًا أكثر مما هو مرغوب فيه. لأن الحياة التي تتحقق في رغباتها ، في دوافعها وطموحاتها ، حيث يتم تحقيق الرضا وإغلاقه ، لن تكون بالأحرى خسارة ما يجعل الحياة في قدرتها على الحياة ، أي في محاربة لا- حياته ، وذلك إلى أجل غير مسمى؟ أو ، إذا لم يكن الأمر كذلك

، فإننا نجعل هذه الحياة تتراجع تحت توقعات فكر الكينونة ، وتزامنه عن طريق الملاءمة ، كما فعل الفكر الكلاسيكي ، مع إدانة أي عدم ملائمة للمظهر. لكن الحياة لا تتطابق - وهي سمة الحياة التي يعمل بها ما يُترجم سلبًا إلى "نقص" - و ليس لكل ذلك "مظهر" من مظاهر الحياة. كاليكليس[29] محق في السخرية من البراميل المسدودة والمملوءة، دون ترك مجال للرغبة، وهو ما أشاد به سقراط، في جورجياس [30] ، باعتباره شخصية بارعة من الوفرة. من هناك، إذا لم يكن في النقص ولا في التشبع، فهو بالتالي بين الاثنين، في **الاحتكاك**، و في **التوء**، الذي ينبثق من إطار الحياة المعتاد ، لمحات من الحياة الواقعية الكامنة هناك كشعور أو حنين. ولكن من عاطفة أو حنين من الآن فصاعدًا لن يشير إلى أي شيء آخر.

7- أن تكون في ضوء التحقيق ، ولكن ليس للاستهلاك (تلمح ولا تمتلك، تلمس و لا تدخل) ، هو جزء من الحياة الحقة من حيث أنها تحافظ على عدم الصدفة - كل المصادفة تصبح مميتة من خلال قوتها الكاملة - وبالتالي الهروب. إن الدليل على أن "الحقيقي" ، في "الحياة الحقة" ، لا يسمح لنفسه بالاحتواء في الواقعية والتجريبية ، و يكون فعالًا من خلال حقيقة أنه يعرف كيف يحافظ على ما بعد - ولكن دون جعله "ما بعد". بدلاً من تأجيل "الحياة الحقة" إلى وقت سابق، قبل الحضارة واستعادتها، مثلتها تصورته الميتولوجية وفلسفة روسو، ولا يمكننا اعتراض **الحياة الحقة** في هذه اللحظة، هذه

---

(29). أحد شخصيات محاورات أفلاطون.

(30). محاورة افلاطون نلها عنوان فرعي: في البلاغة.

اللحظة بالذات، الهشة بشكل بارز طبعا، ولكن أين يتم احتكار غموض الإقصاءات التي تقنّع الحياة وتزيفها؟ في "يوم الكرز" الذي يضيء **الاعترافات** [31](في بداية الكتاب الرابع)، يخبر روسو ويفكر في كيفية أن الرغبة في البقاء في حالة من التشوق، وما زالت تحافظ على نفسها متلهفة لهذه الرغبة، والتي تجعلها تصل إلى حافة الحياة الحقة: "بالنسبة لي، أنا أعلم أن ذكرى مثل هذا اليوم الجميل تمسني أكثر، تسحرني أكثر، تعود إلى قلبي أكثر من أي ملذات تذوقتها في حياتي. ولكن ما الذي أظهره مثل هذا اليوم الجميل في أفق الحياة، مثل ضخامة الحياة، ولكن في الحياة ، دون أن تكون بالتالي في الجنة؟ إذن ما الذي يجعل يومًا جيدًا فيما يتعلق بالرضا؟ أليس الرضا صدفة تحقيقه يلغيه؟ ألن يكون بالأحرى أن تبدأ الحياة الحقة بالظهور في حالة توتر الرضا وعدم الرضا –و هذان النقيضان يخفيان الحياة بتعسفهما؟ في الواقع ، من خلال البقاء استراتيجيًا على عتبة الاستحواذ ، على حافة الإشباع ، في الحياة الهشة ، بشكل صحيح بين الإدراك والاحتفاظ ، يتجنب روسو - في هذا اليوم الذي يصبح فيه غراميًا - الفخ القاتل الناتج عن خيبة الأمل الناتجة عن الرضا ، حيث سمح الفكر الأوروبي الكلاسيكي لنفسه بالاعتقال. يبدأ كسرها بخبث: في الخرق المفتوح يبدأ في كشف هذه الحياة الخفية البديلة. فهذا واقع أن هناك امرأتان في نفس الوقت و بحضور الحبيبن و هذا يعيق اكتمال المشهد حسب الإخراج ، أوليس هذا بمثابة مخرج للحدث؟ هل هو فقط حول هذه الحالة القصصية

(31). كتاب الفيلسوف الفرنسي جون جاك روسو.

للعائق؟ يقول روسو: "ربما كان من دواعي سروري في حبي من خلال إنهاء هذه اليد المُقبلة أكثر مما كنت ستحصل عليه في يدك ، على الأقل في البداية هناك. حتى لو بقي على ما يبدو ، مثل ربطه كله ، مع العاطفي (منطق "اللذة") ، حتى لو تراجع بسهولة إلى الحجج التقليدية ، حول "الحشمة" و "البراءة" التي يسهل ادعاءها ، إذا كان يفضل التعبير عن الأخلاق بدلاً من المخاطرة بالتفكير في تناقضها بما سيكون جوهر الحياة ، يسمح روسو مع ذلك باكتشافه: لأنه بدأ خلسةً في تجاوز الأطر الراسخة ، المجمدة ، الخبيرة ، و تفجير المعارضة المثبتة ،و تمييزها ، والمصادقة عليها. ، من الرضا أو الحرمان ، هنا أخيرًا تبدأ الحياة الحقة ، من حضن الحياة في الظهور بعد هذا الخرق .

تبدأ الحياة الحقة في الظهور في الحياة ، في الواقع ، عندما تبدأ الأطر المشكلة والمقننة والمحدودة والمتكاملة في الانقسام ، وتجربة خفضها إلى الحالة الطبيعية التي هي دائمًا مصطنعة ، محبوسة في الحياة الزائفة. هذا هو السبب في أنها تفلت من حيث المبدأ من التخفيضات التجريبية. وهذا هو السبب أيضًا في أنه هو العكس تمامًا من "هذه هي الحياة" التي نقولها ، أو بالأحرى أننا نسقط بشكل شائع جدًا ، بشكل مبتذل ، بشكل عابر ، مثل حكم مكتسب ، لإدخال أي شيء إلى القاعدة يمكن أن تنشأ فجأة بحيث لا يمكن دمجها في الحياة كما هو الحال في العادة إلى - أن يتم اختزالها إلى لا حياة: حدث ، حادثة ، نظرة ... نظرة في الشارع ... نظرة مندهشة عند منعطف الشارع ، أفلا تسمح بالفعل بفتح فجوة تهاجم منها

هذا المظهر من الحياة؟ ومع ذلك ، عندما نقول "إنها الحياة ..." ، معتقدين أننا نتحدث عن الحقيقة عن (حول) الحياة ، في ذلك الصوت المسطح ، المسطح ، غير المعبر ، في ذلك الصوت المسطح الذي نقول به ، بالفعل يتقوس الظهر بشكل غير محسوس ، من خلال اعوجاج أكتافنا قليلاً قبل هذا كدليل على الحياة ، من خلال الاستسلام للسلبية السحيقة قبل الحياة (كما كانت قبل الموت) ، فنحن بعيدون قدر الإمكان عما يمكن أن يكون حياة فعالة ، و نحن بعيدون كذلك قدر الإمكان عن بداية ممكنة للحياة الحقيقية. نحن بالفعل أبعد عما نسميه "لم يسمع به": فالبقاء غير مسموع لأن البقاء خارج الأطر المتزامنة ، على وجه التحديد ، و التي هي مكيّفة ومحدودة ، ومحدودة بشكل مميت ، لتخوفنا العادي من الحياة ، وبالتالي نصبح غير قادرين على الحصول على ذلك مع بداية انتعاش "لهذه الحياة" ، وهذا في ظاهره قبول ، على أي حال و بدون اكثرات لذلك، كما لو كان مجرد مسألة حشو ، و كما لو أننا ، بقول هذا ، لم يقل أحد شيئًا حتى الآن – هذا هو أسوأ محو تم فرضه مسبقًا – من حيث المبدأ على الحياة. يُخشى الآن أن هذا هو أساس ما كان يُدعى بشكل شائع أو خاطئ "الحكمة".

(IV)

لا حياة جميلة، لا حياة طيبة و لا حياة سعيدة.

نرى ازدهار، بشكل مدهش، في أوروبا، منذ عقود، هذا الحقل الذي تُرك، منذ فترة طويلة جدا، عرضة للنسيان، حقل "الحكمة". صحيح أننا نستطيعُ أن نشجب عن حق المظهر المركنتيلي والمسخر لهذه العملية، ولكن يجب أن نقول أيضا ما هو الفراغ الذي يزعم انتشار سوق السعادة أن يملأه اليوم. لأنه منذ أن فهم اليونانيون" الحكمة"، بصفتها "العلم"، صوفيا مثل إبستيمية، ما بقي من الحكمة، ظل فكرا فقيرا بلا جدوى، في أوروبا، فكرا رخوا وبدون متانة: بالاستمرار في الحفاظ على تفاهات التجربة، على "بديهياتها"، والخمول طواعية تحت التنازل، الذي يعد مطمئِنا جدا، "إنها الحياة". بعد الترويج للمثالية، إقرار ثنائياتنا الكبيرة، هذه اللحظات الثمينة جدا، ولكنها بطولية، للفكر، الحكمة لم تعد، في ظل هذه الثنائيات، سوى فكر للانغلاق والتراجع من أجل محاولة تحمل، بكلفة أقل، المضجِر في أيامنا، بتعاطينا في الوقت ذاته للامتحان أمام الحياة (خطاب التعجب) وللمواساة أمام الموت (خطاب السلوى). ولكن من دون فتح أدنى مسافة مع الابتذال. نُسر داخلها تحت ذريعة القُرب. أيضا ألا تباع

اليوم بفلسفة دونية، بدون مفهوم وبدون اشتراط، قادمة لإعادة شغل الميدان الذي، منذ أمد طويل، وسهولة كبيرة، هجرته الفلسفة.

أو أننا نرغب في حِكَم "الشرق" حالمين، بدون جهد أكبر للمثاقفة، باستخلاص دروس في الحياة. غير أننا من جهة، لن نمحو القطيعة التي أنجـــزها تطور العقلانية والعلم الأوروبي بدون رجعة. من جهة أخرى، لا يمكن أن نقترضَ مباشرة، بهذه السذاجة، أفكارا قادمة من الخارج. لن نستطيع ذلك بدون الدخول في فرادة اللغة التي تم تصورهُم داخلها، مثلما أيضا دون إلغاء تصنيف فكرنا الخاص من أجل فتحه على هذا الآخر غير المنتظر للفكر. وإلا، فإن هذا الاقتِراض يصبحُ مسطحا، مصطنعا، ذا استعمال غرائبي خالص، وإن لم يكن ذا إشـباع استيهامي. يجب إذن -ضرورة تاريخية ينادي بها زمننا باستعجال – الشروع في تحليل نقدي لمفهومنا الذي ظل بدون شكل ومتأخرا " للحكمة": لما ترك شاغرا، بل ومفتوحا على مصراعيه، الفصل التقليدي للحكمة وللفلسفة، للمعرفة وللوجود، للحياة وللحقيقة. وبالتحديد، فلإعادة هذا التمفصُل للحقيقة وللحياة، يجب أن يُسهم مفهوم "الحياة الحقة".

لأنه على ماذا يدُل هذا " الحقيقي" للحياة الحقة " إذا كان الحقيقي لا يقول هذا ولا الآخر: لا الحقيقة التي تعلمناها بالتجربة عن (حول) الحياة، ولا، أبدا، ما سيكون عليه التمثُّل الأكثر حقيقة، لفهمِها مثاليا، للحياة؟ إذا كان " حقيقي" لا يتصلُ بحكم حقيقة يجب إيجادُه من أجل تأسيسه ولا يطمحُ إلى محتوى للحقيقة، ولا يقوم باختيار داخل الحقيقة. إذا كان "الحقيقي" لا يفرز، ولا يختار، من بين تصورات ممكنة

للحياة: بين التي يمكن أن تكون حقيقية والأخريات التي يمكن أن تكون خاطئة، ولا يحيلُ، أيضا، على تصوُّر معين للحقيقة التي على أساسها يمكن أو يجب أن تستند الحياة. "الحياة الحقة" لا تحال على حقيقة، ولا تقاس على أساس حقيقة معينة، ولا تتكونُ أيضا نفسُها بصِفتها حقيقة. من خلال تقديم أي شيء، وعدم افتراض أي شيء حول ماهية الحياة، بقولنا فقط إن" الحياة الحقة" لا تعد الحياة "الزائفة"، لا يمكن أن تكون شَبه حياة زائفة، بأن نظل فقط -وهذا بخصوص الحياة نفسها – على مستوى التحديد الداخلي للحقيقة بصفتها تقابلُ ضدها، مفهوم الحياة الحقة يتحدد في مستهل هذه الآراء القبلية -بعيدا عن الخلافات التي ضاعت داخلها على الدوام الفلسفة. ولأنها تجد نفسها ترفض فورا كل ملفوظ إيجابي حول الحياة، دائما موضوعا للشك لأنها تعلن دائما بصفتها أطروحة موعودة مسبقا للدَّحض. يتحدَّد هكذا باستثناء أي مسند نرغبُ في منحه للحياة: أن تكون "جميلة" أوأن تكون "طيبة"، أو أن تكون "سعيدة"...

1. "الحياة الحقة" ليست الحياة، التي، ما دامت أنها لا تسمحُ لنفسها بأن تُحدد بأي شيء غيرها، تنطوي راضِية على تمجيدها الخاص وتكريسها. الحياة الحقَّة ليست في شيء احتفاء ذاتيا بالحياة. ومع ذلك، فإن هذا، بالرغم من ذلك، هو ما يُغري كل فكر للحياة بمجرد ما لن تسمح لنفسها أن تنتزَع بواسطة نوع معين من التعالي؛ أو تأتي لأن تُحول إلى إرادة للقُوة. ولكن، أكثر من أنها تنهضُ على حقيقة خارجية، الحياة الحقة لا تزعم أن تُحددَ نفسها بصفتها الحقيقة. لا يمكنُ أن تتَحدَّد، أيضا، بصفتها القيمة ما دمت أستطيع أن أحكم أن هناك ما

يعد أثمن من الحياة، باسمِه يمكن أن أضحِّي بحياتي. ليس فقط أنه لا مَخرج من إنشاء الحياة بصفتها القيمة والحقيقة، التي يأتي منها مأزق كل فلسفة حَيوية، (لاحظنا ذلك عند نيتشه)، ولكن أيضا، هذه العِبادة للحياة من أجل الحياة، ألا ينقاد من تلقاء ذاته، بوحشية إلى الانعكاس؟ بالانحِراف داخِل مذاق الموت، بحيث لا يوجد تجاوز آخر ممكِن، داخل إغواء التَّدمير والهَدم، كما لم يتوقَّف التاريخ عن اختبار ذلك؟ لأن الحياة المبتهجة، التي تجد لذتـها في الوفرة، الحياة المرحة، الممثلة تصبح عمياء، داخل هذا التأكيد الذاتي للأنا، حول ما تخنقه في ذات الوقت -ما تُحطمُه- من إمكانيات أخرى للحياة. في حين أن "انتشار الصحة يعد في حد ذاته مرضا"، كما يسجل ذلك أدورنو"[32]، في " الحد الأدنى من الأخلاق "، الحياة الحقة لا يمكن أن تبدأ سوى مع الوعي بحدودها وبهشاشتِها، وإذن بتحدي أقنـــومها الخاص. حتى ولو أنها فهمت أننا لا نستطيع أن نتصَور أخلاقيات تتأسسُ على واقعة وحيدة، وهي أننا في الحَياة. وبما أننا، ذاتنا، دائما، منذ زمن سحيق، كنا ملتَزمين داخل الحياة، سابِحين في الحياة، إلى حد أنها لا توجدُ لدينا مسافة تجاهها و، أولا وقبل كُل شيء، لم نختَر أن نكون في الحياة، لا يمكنُ للحياة أن تطرحَ نفسها على أنها دعوة "للحياة الحَقة".

2. هناك، مع ذلك، مُسند نعتقد اننا نستطيعُ أن نلحِقه كحد أدنى بالحياة. مُسند من شأنه أن يكون الأقل إيديولوجيا، الأقل اختِياريا، ونتيجة لذلك، الموضوع الأقل إثارة للشكوك والريبة: إذا قلت فقط

(32). تيودور أدورنو، فيلسوف وعالم اجتماع وعالم نفس وموسيقي ألماني، اشتهر بنظريّاته في النقد الاجتماعي.

يوما، أو كما قلنا ذلك جميعا، أو كما تم إغراؤنا جميعا بقول ذلك، «**ما أجمل الحياة!**». ذات مساء، حيث الضوء يُعدُّ أكثر نعومة، حيث كُل شيء يبدو متناغِما، حيث جدران الحقيقة تتلألأ، حيث يلعب الأطفال... حيث يصعدُ الفرحُ حولنا مثلما هو داخلنا، مثلما أُعجِبنا كثيرا بإثارته، دائما، وذلك بإبعاد كل أسَف: أليس كذلك، هذه المرة، إلى حدّ إشباعنا؟ ألا نلمسُ هنا، في النهاية، الأكثر جوهرية الذي يصنع الحياة؟ هل هناك قول، في كل الأحوال، أكثر صراحة وبراءة، أقل تكبرا، أقل إكراها: أقل تغطية؟ أليس هنا تعجُّبا لم نستطع أن نحتويَه؟ ألا يصبح هنا «**حُكماً**» ألم أعمل هنا سوى على التقدير؟ «**ما أجمل الحياة!**»، وهي مع ذلك، الشكل الأقَلُّ، الأكثر خجلا، «**الشِّعري**»، لهذا الأقنوم وخيانة للحياة. حتى لو أنني لم أقل ذلك سوى وأنا أعبُرُ أو على انفراد. وحتى وإن كانت هذه الحياةُ تبدو أنها تقَرِّبنا من الحياة الحقة، لأنها ربما ستأخُذ نقيض "القبح" بل "الرعب"، الذي يحاولُ بشكل تعسُّفي أثناء بعض اللحظات، باليأس أو بتثبيط العزيمة ، أن تُخمِد الحياة، «**ومع ذلك فإن الحياة جميلة!**»، تنبعث مثل تعجب لا نستطيع كبحه، كما لو تنبعث من جديد هنا البداهة ، يتم التلفظُ بها مثل تصحيح ، يُحمل بواسطة احتِجاج: مثل ما لا نستطيعُ ، من الحياة ، أن نتركه لأمد طويل مختفيا .يتعجبُ يتعجبُ مبتهجا ،تائبا ، شخصية من شخصيات الشاعر شيلر[33]، يقول ذلك كما قال ذلك ، كما قال ذلك الجميع:(مِن شُرفة الحانة الصغيرة، أمام كأس

---

(33) **يوهان كريستوف فريدريش فون شيلر** : شاعر ومسرحي كلاسيكي وفيلسوف ومؤرخ ألماني 1759 -1805 . يُعتبر هو وجوته مؤسسا الحركة الكلاسيكية في الأدب الألماني، ويُعتبر من الشخصيات الرئيسية في التاريخ الأدبي الألماني.

النبيذ...).

; والحال أننا دفعنا هنا من قبل مخمورين داخل الكليشيهات. أو أن هذه الصيغة أقرأها في الشارع مثل دعاية لعطر؛ أو مثل نكهة لقهوة... إنها تظهر مثل إشهار في حين، من خلالها، أعتقد أنني أعود أخيرا إلى ما هو أهم، إلى الجوهَري، إلى البسيط-كما لو أن الحياة تَستضيحُ أكثر سذاجة. لكننا، فقط نعملُ للَّحظة على نسيان شقاء الآخرين، ثبات وصمت شغف العالم، لأننا نحن أنفسنا ، حينئذ ، لحظة ما ، بهشاشة ، كل ما نحنُ عليه ليس سوى إحساس يَتهدَّدُه خطرٌ ما.

أن تكون الحياة "جميلة" أو أن تكون " قبيحة " أو أن تكون " حزينة " ، فهي دائما لا تتعَدى أن تكون سوى سمةٍ خارجية، أي واجِهة ، مُتموضعة ،ملتصقة بالحياة؛ إنها دائما ليست سوى هُوية تجارية للتباهي -للبيع- من خارج الحياة ؛ و لا تستطيعُ أن تجعَلنا نتقدمُ خطوة على طريق **الحياة الحقَّة** .إلا أنه هل نتقدم أكثر حين نطبقُ هذا " الجميل " على الحياة ، ببساطة مثل نعت وليس أبدا مثل خاصية ؟ إذن، بدل القول إن " الحياة جميلة"، نتكلم، إذن، عن " حياة جميلة"؟ من جديد الحديث عن حياة جميلة يظهر أنه صياغة نسبية يبدو من خلال استيطيقَتها، أنها تفلتُ من الحُكم الأكثر معيارية للأخلاق، تقفُ بحذر على مسافة، آخِذة هكذا الحياة مثل فرجة، من أي نظرة أكثر داخلية يمكن أن تكتشف فيها غموضا مقلقا. إلا أن الدخول في الحياة الحقة هو البدءُ، بدقة، بالمخاطرة داخل هذا الغموض الخطير، بعبارة أخرى، التحدي لكُل أحادية كسولة، والتي دائما ما تكون ، بطريقة أو بأخرى ، سوى: تراجع. "حقيقي"، ضمن **الحياة الحقة**، لا

يدلُّ على أي شيء إيجابي وبالتالي أيضا على شيء مميز ، لا يصوغُ أي أطروحة ولا يتوافقُ ديناميكياً. لكن ما يقال بعد ، يقال أولا ، بالتمسك دائما و وبحذر بالسلبي الوحيد الذي لا يُقدم شيئا مُطلقا، بالاقتصار، وبشكل صارم، على رفض اللا-حياة ، وأن الحياة- ليست سوى تلك الحياة نفسها. لا شيء آخر سوى الرّب وفق الحياة السلبية من منظور اللاهوت – لا توصفُ. الحياة ليست «**سوداء**» كما أنها ليست «**وردية**» ولا «**رمادية**». إنها تَتَمنعُ عن أخذ أي لون حين نرسُمها

3. إذا كانت الحياة «**الجميلة**» تُخفي، تحت توصيفها السهل، الغموض الذي تعاني منه بدورها، فإن الحياة "الطيبة"، بالنسبة لها، تُسهم وبشكل واضح في تنظيم الرفض. إنه رفض لكل ما يأتي من الحسن، أي ذلك الحسن الذي يتعارضُ مع السيء، والذي يتعالقُ بها. ليس فقط لأن الجيد في حاجة للسيء من أجل أن يوصف، كما اعترفت بذلك دائما ولتصنيف ما ما هو جيد في حقل اللاهوتيات. لكن أيضا لأن الخير لا يسمح بأن يفصل بينه وبين الشر بيسر، ربما لأنه أكثر أهمية منه، كما لدينا ذلك بسهولة ذلك الارتياب، ولكن بدون إرادة قبل ذلك إضاءته. ما هو أسوأ، أن الحياة " الطيبة" ليست فقط متهمة بالاعتباطية بواسطة الفصل الذي تفرضه داخل الغموض اللا-مُتخلَّص منه للحياة. مفهومُها يصطدمُ أيضا بالتباس مستَعص على المُعالجة. لأنه ما هو المعنى ل"طيب "داخل" الحياة الطيبة ": بين "الممتِع " ، "الملائِم "، و"المُكَيف" ،الخ.-وما ذا يمكن نتيجة لذلك أن يكون معيارها ؟ حتى تحت هذه اليافطة لِ الحياة " الطيبة " ، والتي

منذ العصور القديمة كانت مجالا لتفكير الحكمة ، لا نرى دائما ما يمكن أن نفعلَ بها. على ما لم نكف عن إجابته عنه طوال القرون السابقة، أن فضل "الحياة الطيبة " أنا تسمح على الأقل بالانتقاء: إنها تدمج فرقا بفضله ترفضُ" حيواتٌ سيئة" ؛ أو انها تفضي إلى انبثاق الأفضل الذي باسمه "نختارُ " حياتنا . المفهوم يتقدم إذن مثل نسخة احتياطية، بدون ادعاء نظري، الذي ، بالنسبة لها، يحولنا بشكل نهائي عن الممارسة ونتيجة لذلك ستصبح عبثية . من غي المجدي الاختتام بدون نهاية على إيقاع هذا " الخير «: الحديث عن "حياة طيبة " يكفي أن يعطي مبادرة حول الحياة، ستسمح بدون العيش أبدا بتهور ، بلامبالاة ، بشكل سلبي الحياة . يبدو أن الجميع لن يجد توافُقا كافيا حول هذه العناصر السالفة الذكر؟

سنتوافقُ بشكل أكثر يسرا حول "الحياة الطيبة " ، تقول الحكمة ، إن " الحياة الطيبة " تتوافق نفسها " بتطابق مع الطبيعة ". "الحياة الطيبة " ليست مبنيَّة ، ليست مبالغا فيها ولا مضافة ، ما دامت أنها لا تعمل سوى على التعبير على النزعة الطبيعية للكائنات ، هذه النزعة التي تحملُ الكائنات من تلقاء أنفسها على التوافق معها ، بالترابط حول ما يعد أصيلا في ذواتها ، بتعبير آخر" اندفاعها " .إذا كان العيش وفق الطبيعة هو العيش حسب العقل ، أي ، كما نقول ، إن العقل يعد طبيعيا بالنسبة للبشر مثل النمو بالنسبة للنباتات والحركة بالنسبة للحيوانات. بما أنها لا تعمل سوى على احترام الخصائص التي تحدد كل الكائنات ، فإن الطبيعة لم تعمل سوى تملك الإنسان لذاته والسُّمو به نحو أخلاقيات "حياة طيبة " .والحال ، على وجه التحديد أن

مفهوم " الطبيعة " (العيش "حياة طيبة " لأنها مطابقة للطبيعة)، هو الذي ، في الوقت الحاضر ، يغيبُ أو بالأحرى لم يعد له ما يضمنه : المعرفة الجديدة التي تصنع الحداثة ، من هنا فإنه اصبح متجاوزا نهائيا ،ومن هنا فصاعدا ، فإنه لم يعد من "الطبيعة " او من نظام محايِث للعالم ، هذا العالم الذي داخله تستطيع حياتي أن يتحقَق لها الاندماج. لذلك ، فإن مفهوم "الحياة الطيبة " وهو يقاس على أساس " الطبيعة " يعدُّ منتهي الصلاحية ؛ ولهذا ،ومن الآن فصاعدا ، لم يتبقَّ أي مخرج أو منفذ سوى التفكير في «**الحياة الحقة**» في مقابل «**الحياة الطيبة**» . حيث أصبح واضحا أن "الحقيقي " للحياة الحقة لا يتصل بالتطابق، ولا يحيل على نظام طبيعي معين أو على أي معيار كيفما كانت طبيعته، لا يحملُ أبدا أي محتوى حول الحقيقة داخل الحياة التي لا تستدعي المطابقة.

ولهذا فمفهوم حياة طيبة ولأنه يتطابق مع الطبيعة، وبالإضافة إلى أنه مشكوك فيه حيث يتمظهر باعتباره أكثر" أصالة " ، الأقل تبنينا والأقل ابتكارا ، يتكشفُ في الواقع –وهذه خدعة كل ما هو «**طبيعي**»- الأكثر تناقُضا والأكثر جدَلا.لأننا حين نحددُ الجيد بواسطة الطبيعة ، الغموض لم يعمل سوى على الانتقال من هذا " الجيد" إلى ما هو محايث لها مثل الطبيعة. العيش وفق الطبيعة، هل يعني العيش وفق ميولات يمكن أن تصير طبيعية، ميولات اللذة (كما يريد ذلك الراغبون الذين يبذلون قصارى جهدهم في تمثل مذهب اللذة

ضمن الأخلاق، بمعنى المدرسة الفلسفية القورينية [34] أو العيش كما تعيش الكائنات التي ستصير الكائنات الطبيعية بامتياز، الحيوانات (كما يريد ذلك الكلبيون[35]) ؟ فما قد يعتبره البعض أنها الحياة التي ليست فاسدة، لا يعدُّ بالنسبة للآخرين سوى حياةٍ خشِنة؛ هي إذن الحياة التي يُحكم عليها أنها طيبة بما تُوفرُ لهم من مُتعة ليس إلا، أما بالنسبة للآخرين فهي ليست سوى حياة مُرونة ولُيونة وانتكاسة. أو حسب الفيزياء الحتمية للرواقيين[36] ، فإن العيش وفق الطبيعة يعود إلى أن يعترف به بصفته جزءا من كل التَّسلسُل السببي الذي يكونُ العالم. بيد أنه في العالم الأبيقوري المكون من الذرات التي تتصادم داخل الفراغ، العيش وفق الطبيعة لا يمكن أن يتوافق، على العكس من ذلك، سوى بتبني عشوائية هذه الحوادث-وهنا نعود إلى الأحادية، أو لنقل إلى الانحياز في كل توصيف للحياة. ومن هنا، فإن الحكمةَ لن تتوقف على التعارُض مع نفسها، إذن، تريد الإقناع في كل مرة بحقيقتها، ومن هنا فهي تعملُ على تصريف بلاغتها، وأن تصير مُبشرّة برؤية للعالم. هذا ما يبتعدُ عنه منذ البداية فِكرُ **الحياة الحقة**. فقط لأننا لا نُعير لها اعتبارا إلا من خلال التعارض الداخلي للا-حياة، فإن الحياة الزائفة، حيث لا تمنحنا اختيارا ما قد يكون تصوُّرا صحيحا

---

(34). مدرسة فلسفية يونانية تأسست في القرن الرابع قبل الميلاد من طرف الفيلسوف أرسيبوس ، وهو أحد تلامذة سقراط، حيث تعتبر أن مفهوم السعادة يحتل الصدارة ضمن فلسفة الأخلاق.

(35). المذهب الفلسفي الذي يعتبر أن الوقاحة تعدُّ سلوكا طبيعيا يتجلى في السخرية وهو مذهب يتمظهر من خلال السخرية وأصحاب هذا المذهب الفلسفي هم أتباع الفيلسوف ديوجينس الكلبي وهو مؤسس مذهب الفلسفة الكلبية.

(36). الرواقية، مذهب فلسفي هلينستي تأسس مع الفيلسوف زينون الرواقي في القرن الثالث قبل الميلاد، إنه مذهب أخلاقي وفق تأملات طبيعية (السعادة أو الراحة الدائمة).

للحياة، اتجاه الحياة، لذلك، فإنها ليس لها أن تقترح أي «**رؤية للعالم**» في علاقة مع ما يتضمن ذلك دائما من تأسيس واعتباطية؛ وتكتفي بعمليتها الوحيدة الوحيدة للكشف عن نفسها، و لا تتحدد إلا من خلال إبلاغها وفي كل لحظة، وبدون توقف ، داخل الحياة التي نحيا، يبدو فقط أنها شَبه حياة.

أيضا، وللخروج من نِسبيتها، «**الحياة الطيبة**» ليست لها إمكانية أخرى سوى أن تتصور نفسها بطريقة مِعيارية، من أجل الخروج من ضعف وهشاشة المُحايثة المستحضرة، لتعويض النَّقص من خلال "يجبُ عليك" ذلك الذي يفرضُه-إنها تتلفظُ عادة وفق صيغة الأمر. لكن هل يمكنها أن تخرج من هذا الطريق المسدود؟ إنها بالأحرى تتضاعفُ. القاعدة المعيارية تعَد خارجِية، لكن وجبَ على استِبطانها: ليس فقط طاعتها، ولكن تقبلها من أعماق نفسي، (إبداء الرضا، كما يقول سينيك[37]). إنها تتمظهر في الوقت ذاته باعتبارها نموذجا قابلا للتنفيذ، تسمحُ الحياة الطيبة بظهور المسافة التي تفصلني وبشكل نهائي عنه بين المثالي وتنفيذه أومن

النظرية إلى التطبيق؛ لأنها لا تتوفر على أي محتوى معياري وبالتالي فهي لا تتطلب "رؤية" فالحياة الواقعية لا تخضع أبدا للتأثير الذي يخضع له أي قانون وأي قاعدة من قواعد الحياة. فهي غير خاضعة لذاتية التقييم أكثر من كونها خاضعة لهدف القاعدة، وليس عليها أن

---

(37). لوكيوس أنايوس سينيك (1 ق.م/ 64 بعد الميلاد) يعرف أيضًا باسم سينيكا. فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، اسهموته فلسفة فلاسفة الفيثاغوريين، وكان صديقاً مقرباً من الفيلسوف ديميتريوس ، فتشرب منه الفلسفة الكلبية كما تشرب الفلسفة الرواقية من أتالوس .

تنقد نفسها من التناقض الذاتي الناتج عن التشييئ الحتمي. ومن ثم فهذا لا يتطلب اعتقادا أو تقييدا، ولا يستدعي الاقناع، ولا يخضع لأمر أو وصفة، فجهده ليس تقليد بل رفض ومقاومة، لكل ما يولد في الحياة؛ من حياة زائفة، وقبل كل شيء فهو إشباع وهمي وقصر في النظر، أو ما يسمى عادة بالأنانية، فالتمسك بهذه السلبية من اللا-حياة أو بعبارة أخرى عن طريق إعادة فتح فجوة، في مقابل تقليص الحياة للتغطية على الحياة الواقعية التي لم يسمع بها من قبل؛ فهي أكثر جرأة من خطر التعسف الذي بدأ بالتراجع في حكمة الحياة.

ومع ذلك فهناك نقطة يجب أن ندركها في فضل "الحياة الجيدة" كما دعا إليها كل من الرواقيين والأبيقوريين وهي النقطة الموجودة عند جميع مدارس الحكمة، بغض النظر عن التنوع والتنافس فيما بينهم، إنها تخليص من كل ما ليس له اتساق من" الوجود الحقيقي" سواء من مخاوف المستقبل أو من ندم الماضي للتخليص من كل ما يطارد حياتنا، مثل الأشباح والمحاكاة ومثل الشهرة والثروة، وقبل كل شيء من شبح الموت وما يثير من افتراءات لا تنتهي وعلاوة على ذلك ما يبرر بقاء هذه الحكمة على مر القرون التوافق مع بعض الفلسفات و أيضا معارضتها، ومع ذلك لن نواجه صعوبة تذكر في إدراك أنه لم يعد مفهوم "الحياة الجيدة" هو الذي يأتي بعد ذلك في إيجابيته المعيارية، التي تفرض الالتزام بحتميتها؛ لكن إدانةَ كل ما يهدد حياتَنا بالوهم سيسمح لنفسه أن يفرض مظاهر غير فعالة بطريقة ستؤدي " بالحكمة" إلى الرجوع إلى الوراء، من خلال تسليط الضوء على ما لم يعد في الواقع حياة، وهو مجرد أسماء مستعارة ترفض اللاحياة

وتتطلب الحياة الواقعية وإلا سنقول أن ما يبرر الحياة الجيدة بإجابتِيها هو أنها تؤدي إلى السعادة " فمن العيش بشكل جيد" إلى " العيش السعيد" وليس التعيس" (من الزان[38] إلى الأديمونيا [39]) فالجيد " في "الحياة الجميلة" هو الذي يضمن الانتقال دون انقطاع .والحال، من لا يريد السعادة؟ أليس هذا هو شرعية الإنسان في شموليته – فماذا عسانا أن نطرحه وبكل طواعية اتجاه كونية الإنسان؟

4 -لكن ألا تدين "السعادة" بنجاحها في "الحياة السعيدة" وإلى غموضها؟ لأن الكلمة تدل على معنيين مختلفين للغاية ميزهما اليونانيون،" بالحظ" أو النعمة الممنوحة من الآلهة أو القدر، فالسعادة "هي الحالة الأسمى للحياة المكتملة، فأحدهما نسبي والآخر مطلق، فالأول مرتبط بتقلبات الوجود وليس من السهل العثور عليه في مختلف الثقافات، والثاني تجريدي وأساسي يعمل كهدف للميتافيزيقا التي صاغها الإغريق، ومن ناحية أخرى نقر على هشاشة السعادة المرتبطة بالصدفة (على حد تعبير صولون [40] في هيرودوت[41]) ومن ناحية أخرى يمتد استمرارها إلى الأبد عندما تصبح "الروح" التي تحصل على مكانة مستقلة (أفلاطون الذي يعتبرها النقطة الأساسية في أخلاقه) ومثل "الحب" استفادت "السعادة" من هذا الالتباس والإلغاء، فالأول يدعو إلى الأول والثاني يخفي الأول الذي يعمل على

---

(38)." الحياة السعيدة" باليونانية.

(39) . مفهوم Eudaemonism مأخوذ من اليونانية eudaimoní / ويعني السعادة وهي عقيدة فلسفية تفترضُ أن السعادة هي هدف الحياة البشرية.

(40) (640- 560) ق.م. مُشرّع، شاعر ورجل قانون. . قام بسن مجموعة من القوانين. أثيني،

(41). هيرودوت مؤرخ وجغرافي يوناني 484 ق.م -425 ق.م اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها حول العالم المعروف آنذاك.

التعبير عن الرغبة في التملك ، حيث نقيضُه، في الوقت نفسه ، الإيروس (إله الحب) و الحب الإلهي ، كان في حاجة إلى المكانة الأسطورية التي منحهما إياها الغرب "للحب" لتأسيس وحدته القصرية ومع ذلك فإن " السعادة" المستخدمة في التعبير عن الحظ والنعيم تتطلب وضعا مثاليا لفرض اجماعها الخاطئ على وضعها العام المزعوم، ومن ثم فإن افتقارها إلى السعادة يجعلها معروفة، وهذا الخلط في المصطلح هو ما يجعلها مناسبة لإضفاء الشرعية عليها، ألا يفيد التستر تحت سلطتها - وما يخشاه المرئ في أن يفكر فيها ؟علاوة على ذلك ألا يجب الشك في هذه الكلمة؟ هل مصطلح " السعادة" غير مشكوك فيه، لماذا ينشطر في نفس الوقت؟ هل هذا التثبيث يفرضه عن طريق إعاقة مسار التجربة و يجبرها على تقسيم "السعادة" و" التعاسة" بطريقة متناقضة، لأنه من خلال الوقوف على "التعاسة" و" السعادة" يجعلنا نفقد التمسك والإستمرارية التي تشكل نسيج حياتنا، ويقدم مفهوم السعادة في حد ذاته فصلا تجريديا من حيث أنه يعزل في حالات معاكسة، وهو اعتباطي لأنه يؤدي إلى اقرار في غموض التجربة، لذا فإن الحديث عن "السعادة" يعني أن تكون ضحية للغة دون معرفة لهذه اللغة التي لا يمكن أن تكون لها دلالة إلا بمعارضة المعنى، ولكن نتيجة لذلك يلاحظ (زانكزي) في الصين، هذا بشكل عابر وغير شيء مفكر فيه كما هو الحال في إضفاء الشرعية على الإستراحة، الا تكون البداية بالسعادة، ألا تكون البداية بالتعاسة، ستكون بداية الحكمة، هي تقليل أي فجوة مفتوحة بين الاثنين من خلال العودة إلى منبع تفككهما، لأن فصل احداهما "السعادة" هو في نفس الوقت ابراز للآخر " التعاسة" وبالتالي إضفاء الشرعية عليهما

وكما يقول مفكرو الطاو، فإن الادعاء بفرض النظام هو إدراك فعل إمكانية الفوضى، وافساح المجال لذلك، لذى فإن معالجة "السعادة" هي تدوين حقيقة المحنة وإعطائها تبريرا في المبدأ، لأنه عندما ينتسب شيئا للآخر قد تكون بسبب التحدث عن أحدهما.

اليس هذا ما يجب أن نثور ضده في المقام الأول من خلال التخلص من اساءة استخدام اللغة التي تمنعنا بانزياحاتها ؟ إذا أزلنا هاتين الكلمتين "السعادة" و "التعاسة" لأنهما خاضعتان في أفواهنا وإذا تخلصنا منهما لن نبدأ في إزالتهما في نفس الوقت، وهو ما يؤكد تعسفهما ويحجب تحت ظلهما الشمولي حياتنا الأساسية والعادية؟ الا نبدأ الآن في العيش في الواقع، هل من المنطق أن نقول يوما أو حتى كل يوم " أنا سعيد" هل في هذه الكلمة لم أقم بالفعل بتجديد حياتي بشكل سيء، الم أكن بهذه الكلمة قد أخنتها، هل هذه الكلمة "السعادة" ليست كليشيهات تتعارض في هذه التجربة، مثلما يطلب منا أن نقوم بالالتقاط صورة، فهذه الإبتسامة التي تتجمد وتتحول بالفعل إلى ضجة، اذا كانت هذه هي "السعادة" في الواقع أقولها الآن، فأنا على ما يبدو مدركا جيدا أن هذه اللحظة لا تسمح لنفسها بالانتهاء بهذه السهولة، ومن المستحيل عزلها بهذه الطريقة، وإذا تحدثت عنها في الماضي، فستظل دائما صورة بأثر رجعي يصنعها الاحباط و الندم من هذه "السعادة" المعلقة على الحياة، هل يمكن أن أخفي أن إجبارها بالفعل يحكم علي بما يسمى بالحياة الزائفة ؟ و للهروب من الوهم يجب أن نبني مفهوما أكثر انفتاحا؟ ولكن الا ينعكس هذا التجريد والتعسف الذي تنطوي عليه هذه الكلمة في الفكرة التي نشأت عنها

السعادة، وهنا يمكننا فقط إضفاء الشرعية على وضعها في نفس الوقت الذي يتم فيه الوصول إلى المطلق من خلال الاعتماد على فكرة "النهاية"، وهكذا يتم التحقيق والتقدم من الخير إلى "السعادة" فكل شيء في سلوكنا يميل نحو بعض الخير الذي هو نهايته، فتميل كل هذه الغايات الخاصة نحو النهاية وهي الحجر الأساس لجميع تطلعاتنا، وخلاف لذلك فالغاية الأسمى هي "السيادة" التي تعتبر هي "السعادة" كما يقول ارسطو، حيث يتم استعابها وفق ما يسمى" العيش الكريم" وفي حقيقة السعادة ومنذ ارسطو وحتى في المسيحية مع (أوغسطين) لم يتم التفيكر في هذا التجزيء الذي لا ينظر إليه في الواقع، ومن خلال مفهوم "النهاية" أي من الخير إلى السعادة أصبحت مسألة مثل "النهاية" ووفقا (لڤارون) هي نهاية الفكر، في حين أن هذا التعريف (نهاية الغايات) تابث بشكل نهائي، لدرجة أن الفلسفة قيل عنها أنها مجرد تهكهنات في "النهاية" فطبيعة هذا الأمر الذي ينظر إلى النهاية العليا على أنها الأكثر إثارة للجدل، بحيث تحدد كل مدرسة نفسها وتصنف بالفعل من خلال الطريقة الخاصة التي تتصورها والتي ترغب في اقناعنا بها، وفي نفس الوقت كل ما تفرض فيه نفسها بشكل عام على الفكر، مفهوم السعادة يبلور كل الاختيارات المتقابِلة. لقد أصبح في الوقت ذاته لا مفر منه وبدون مخرج. مأزق جديد...كيف يمكنُ لفكر" الحياة الحقة "أن يستمر في الاعتماد عليه؟

5 . اما فكرة السعادة، فهل ستحفظ نفسها فقط بقوة إنكارها، على الرغم من تناقضاتها ومفارقاتها؟ هذا الإنكار الذي يمدها بقدرتها المهلوسة وبناءها الوهمي. إنكار أن العنف لا يمكن في الواقع أن يختفي

-ولا يجب أن يختفي -لأنه جزء لا يتجزأ من الحياة؛ أو أن الموت قلب الحياة وليس فقط ما ينهيها -بعبارة أخرى، إن الأضداد مرتبطة، كما دعا هيراقليطس [42]. خاصة إنكار أن أحدهما يشترط الآخر؛ وبالأخص، أن الحياة لا تستطيع أن تتضح أو أن تسمو بنفسها إلا بشريطة الموت. عندما تصور بيشا [43] الحياة على أنها "مجموعة الوظائف التي تقاوم الموت" ولا يجد سبيلاً لتجاوز هذا التعريف، فإنه يعطي هنا المعادلة الأساسية وهي الوحيدة القادرة على تقريبنا من فهوم "الحياة"، أيًا كان هذا المفهوم الغامض: أن نحيا يعني أن لا نتوقف عن معارضة ما يعارضنا في الحياة؛ أي أنه عندما يتوقف المرء عن مقاومة اللا- حياة (أو مقاومة الموت)، فإنه يموت. من هناك، مَن يُدرك مرة أخرى ما تعنيه "حقيقة" الحياة الحقيقية أو عندما تبدأ "الحياة الحقيقية": تبدأ الحياة الحقيقية على وجه التحديد عندما يخترق المرء هذا الإنكار الذي حتى الآن يقوي السعادة في المدينة الفاضلة؛ وأن لدينا القوة، أخيرًا ، للتخلي عنها. لقد اكتشفنا ليس فقط وهم السعادة، ولكن أيضًا لماذا نحتاج إلى هذا الوهم للعيش (كيف أن هذا الوهم هو وهم ضروري للحياة مثل الوهم المتعالي، عند كانط [44]. لكن لا يمكنني أن أدين هذا الوهم بالفكر فقط ، رغم أنه لا يمكن محوه من التفكير ، ولكن هل يمكنني أيضًا أن أبدأ في العيش من خلال الدفاع عن نفسي بشكل فعال من هذا الوهم؟ سيكون من الرائع إذن أن أبدأ في الدخول إلى الحياة الحقيقية: أنا أقاتل من أجل الحياة، لكنني

---

(42). فيلسوف يوناني، عاش حوالي 500 ق.م .

(43). ماري فرانسوا كزافيي بيشا (1771-1802) ، طبيب فرنسي .

(44) .كانط (1724-1804) ، الفيلسوف الألماني ، صاحب نظرية المعرفة.

أعلم أيضًا أن الموت هو شرط حياتي؛ أو أنا أقاتل من أجل السلام، لكنني أعلم في الوقت نفسه أن العنف ضروري لظهور السلام ... وإلا فإننا نعود إلى تخيل السعادة كما رُسمت في الجنة. لا حياة جميلة ولا حياة طيبة ولا حياة سعيدة. ومع ذلك، فإننا ندخل فقط "الحياة الحقيقية" ، على عكس ما يقوله أفلاطون ، بالتخلي عن الجنة.

في الواقع، إذا كان هناك إنكار، فذلك لأن فكرة السعادة تقوم على تناقض لا يمكن التغلب عليه، لكننا نريد إخفاءه: هذا الرضا في حد ذاته ليس مرضيًا. هذا ليس فقط في الواقع ، ولكن من حيث المبدأ (الحد الأدنى غيبي). هل يمكننا أن ننسى، في الواقع ، أن فكرة "النهاية" ، التي يقوم عليها بناء السعادة لدينا، وَجدت أصلها، في اليونان ، في منطق الرغبة؟ الآن هذا هو بالفعل منطق الرغبة، عندما يطوره المرء: الرضا، من خلال الوصول إلى الغاية المنشودة، يفقد بالتالي قدرته على الإشباع؛ من حقيقة أنه تم الوفاء به، وأنه راض، فإنه يطفئ من نفسه إمكانية الرضا. ومن ثم لا يوجد رضا، كما نعلم، وهذا ليس خيبة أمل في نفس الوقت؛ أو أنه لا يوجد تملك لا يتحول في حد ذاتها إلى نفور. هذه هي المعضلة التي تعيق الحياة وكذلك الفكر (من باسكال[45] إلى شوبنهاور[46]): إما أن أنغمس في "الترفيّة"، وأعطي نفسي خدعة أو زيف من الحياة الزائفة)، أو "أشعر بالملل"...ما الذي يعثر عليه أي فكر إيجابي يعزل نفسه ويستمر في ذلك، بحيث ترغب "السعادة" في إيجاده. فهي لا تسيء فهم آثارها السلبية فقط، مثل حالتها، ولكنها ستجعل نفسها لا تطاق من خلال خنق الحياة في ظل

(45). بليز باسكال (1623-1662) ، فيلسوف وعالم لاهوت وأديب فرنسي .
(46).أرثر شوبنهاور (1788-1860) ، فيلسوف ألماني، اهتم بقضايا الوجود الإنساني .

مصادفتها وكفايتها، وبسد فراغها بإشباعها. من جوته[47] إلى فرويد[48] نقل مازح: "كل شيء في العالم يسمح لنفسه بتحمله باستثناء سلسلة من الأيام الجميلة ..." ومن هنا جاءت عدم قدرتنا المعروفة على تصور "الجنة". طالما لا أزال أعاني من نقص، فأنا غير راضٍ عنه، وبالتالي لا يمكنني أن أكون سعيدًا؛ وإذا كنت راضيا عنه، فأنا أفتقر إلى النقص الذي يجعلني أرغب وأتعب من هذه السعادة التي لدي. ومع ذلك، فإن الفكر الأوروبي - ربما باستثناء "يوم جميل" لروسو، لكنه ليس كذلك في حد ذاته، فقد استمر ليوم واحد فقط - بقي محبوسًا في هذا الإشكال.

إذا كنا بحاجة إلى دليل معاكس لما هو متحيز في بناء "السعادة"، من النهاية كما من الرضا، فسنجده مرة أخرى في الفكر الصيني مقارنة بحيرتنا. لأنه إذا تم تطوير مفهوم السعادة كثروة هناك (مثل eutuchia عند الإغريق، 福 باللغة الصينية)، فإن مفهوم السعادة المتصورة في وضعها المثالي لم يظهر - لذلك كان من الضروري التفكير في الأمر. "الروح"، بطريقة ثنائية (ككيان منفصل)، والتي يمكن أن تكون موضوعها. نظرًا لأن الصين فاتتها فكرة الوجود، فقد فاتتها فكرة السعادة -وهما علاوة على ذلك لا يتم اكتشافهما على أنهما مترابطان، فكرة أن تكون تشكل الأساس الذي يمكن أن تطفو عليه الأبدية من السعادة؟ ومع ذلك، إذا كان الفكر الصيني لا يفكر في السعادة، وعدم الثقة في الفصل بين "السعادة" و "التعاسة" الذي من

(47). جوته (1749-1832)، روائي وشاعر ألماني.

(48).سيغموند فرويد (1856-1939)، عالم أعصاب نمساوي، مؤسس علم التحليل النفسي

شأنه أن يكسر تماسك الحياة بشكل مُصطنع، فإن ذلك يرجع إلى هذين السببين المشتركين. لم يتصور النهاية، ولم يؤسس نظامًا وتسلسلًا هرميًا للغايات: تُركت الرغبة في منطقها الملائم لـ "الميل"، يمكن للمرء أن يعتنق "الطاوية" (taoïstes[49]) لاحتواء وتوجيه (الكونفوشيوسية) لقد امتنعت أيضًا بحذر عن استكشاف ما يمكن أن يكون مرحلة ملء الرضا، وكذلك مرحلة النقص الفاصلة، للتفكير في ما هو العيش بين هذه الأضداد، هذا هو أولا وقبل كل شيء البين حيث لا يتوقف عن مناوبة التنفس، وهو يتجنب الواحد والآخر، فارغا وممتلئا. يقول جوانغ زي Zhuangzi[50]، أن تصب دون أن تملأ على الإطلاق، لتفرغ دون إرهاق. بما أن الانتقال لا يزال مستمراً هناك، فإن الحكيم نفسه لا يتوقف عن "التطور" كما يشاء – وبالتالي فإن معنى "حسب الرغبة" بلا نهاية أو وجهة. أو مرة أخرى: "الاجتماع، لا يعارض. الذهاب إلى أبعد من ذلك، فهو لا يحتفظ ". في الوقت نفسه "يرحب ولا يحرس". يتجنب هذين الطرفين، من يجف ويمتلئ، أحدهما في صراع مع الآخر، ومنه تنشأ المأساة.

6. ومع ذلك، فهذه هي قوة التحيزات التي ينحني فيها الفكر ثقافيًا، وقبل كل شيء تلك الخاصة باللغة، بحيث لا يرى المرء كيفية الخروج

---

(49) تقليد ديني أو فلسفي ذو أصل صيني، وهي تؤكد على العيش في وئام مع الطاو، والطاو هو فكرة أساسية في معظم المدارس الفلسفية الصينية .معناها في الطاوية هو المبدأ الذي هو مصدر ونمط ومضمون كل شيء موجود في الحياة. تختلف الطاوية عن الكونفوشيوسية . في عدم التشديد على الطقوس الجامدة والنظام الاجتماعي، ولكنها تتشابه في أن فهما كامل الانضباطات والسلوكيات التي تحقق «الكمال» من خلال أن يندمج الفرد مع إيقاعات الكون غير المخطط لها والتي تسمى «الطريق».

(50) جوانگ زي Zhuangzi كان فيلسوفاً صينياً واسع التأثير وقد عاش حوالي القرن الرابع قبل الميلاد، أثناء فترة الممالك المتحاربة، أي في زمن المدارس المائة للفكر وهو العصر الذهبي للفكر الصيني.

منها من داخل الفكر نفسه. وهذا بغض النظر عن الجهود التي تبذلها الفلسفة في كل مرة لتكشف ما يمكن التفكير فيه من جديد. نرى فرويد، الذي كان مع ذلك مكتشفًا عظيماً، يحبس نفسه على الرغم منها في هذا الفراغ من السعادة ويتورط فيه. وهذا لأنه لا يزال عالقًا في نفس الشباك كما كان من قبل: تلك الخاصة **بالغائية والرضا**. يظل فرويد أرسطيا على كلا الجانبين. نفس التسلسل الهرمي للنهايات: في المرحلة الابتدائية، يكون للقيادة "هدف نهائي" تؤدي إليه أهداف "واسطية". وبالمثل، على النطاق الأكثر عمومية: إذا لم نتمكن من الاتفاق على الغرض من الحياة، كما أظهرت الفلسفة بشكل كافٍ، فسنوافق على الأقل على الغرض من حياتها. "الرجال يتطلعون إلى السعادة"، يتكرر كما هو واضح، إنهم يريدون أن يصبحوا سعداء وأن يظلوا على هذا النحو. نتيجة لذلك، لا يعرف فرويد أيضًا كيفية الخروج من التناقض الذي يجعله يتعثر في هذا اللغز الأكثر أهمية: إن هناك، في قلب الدافع الجنسي، شيئًا "غير الموت" لإرضائه. هذه السلبية الداخلية للرضا، والتي تجعل من الممكن التعرف، في النشاط الجنسي نفسه، على "أثر بعض الصدع غير الطبيعي" ، فرويد لا يعرف كيف يتعامل معها. هناك حيث لا يمكنه النظر إلى "ما وراء المتعة" إلا من خلال التراجع إلى مستوى قيود التكرار؛ وبالتالي، يمكنه فقط تصور المتعة نفسها على أنها خفض، أو على الأقل استقرار، لتوتر الإثارة؛ وأخيرًا، يمكنه فقط أن يتخيل الحياة على أنها "تهدف" إلى بقية الأشياء غير العضوية، وبالتالي تهدف إلى الموت، كما في "هدفها" (في مقال ما وراء اللذة Jenseits des Lustprinzip [51] . حتى لا يخرج فرويد من قيود "السعادة" التي ظل الفكر فيها محجوبًا، لا يستطيع

(51). مقال لعالم النفس النمساوي سيبغموند فرويد.

فرويد سوى أن يتدفق في هذه الهاوية الإيديولوجية (الحنين إلى الماضي؟) لما لم يعد هو نفسه يسميه أي شيء سوى "مبدأ النيرفانا". المتعلقة بالحياة، بل بانطفاء الحياة. لكن هذه "المشاعر التي نمتلكها عن الجرح الغابر" - وهي أيضًا طريقة، عند أدورنو (Adorno) ، لتسمية هذا التناقض الأصلي للإنسان - ألا يمكننا أن نجعلها نقطة انطلاق، بدلاً من محاولة التستر عليها، ونقطة انطلاق للفكر وللحياة على حدٍ سواء؟ بداية التفكير في "الحياة الحقيقية". بدلاً من السعي دائمًا إلى نوع من إعادة تأهيل يسمح، من خلال العودة إلى ما يمكن أن يكون طبيعيًا، بإعادة اكتشاف "الرضا الزائف الوهمي"، كما يصفه أدورنو بجدارة: " فكرة أنه سيكون من الممكن أخيرًا العيش" يمكن أن تزدهر فقط في حالة الاشمئزاز من هذه الملذات الزائفة وحتى في هذا الشعور بأن "السعادة غير كافية، حتى عندما تكون واحدة". كل هذه التحذيرات عن السعادة ما زالت مجرد ورق مقوى، وهي تخدم فقط كغطاء لـ "التعاسة العامة" للرجال وكذلك "تعاستهم الخاصة" ... لكن هل يجب أن نتوقف عند هذا الحد في شجب الحياة الزائفة؟ هل يجب أن نبقى متمسكين بمعارضة "السعادة" و"التعاسة"، كما لو لم يكن هذا هو أول ما أخفى الحياة الحقيقية؟ أو حتى هذا التناقض الداخلي للرضا، يمكننا أن نربطه علنًا بتصدّع شخصية الموضوع، كما فعل لاكان [52] للموضوع الذي منعه حقيقة أنه يتحدث عن احتياجاته التي تعود إليه بشكل غريب. الوصول إلى المتعة، تحت تأثير الذال كونه ممنوعًا عليه، الموضوع سيعرف بالتأكيد انهياره فقط. ولكن هذا أيضًا ما يدين به للبقاء على قيد الحياة قدر استطاعته باعتباره "ذاتًا"، كما يعترف لاكان ، مبدأ المتعة الذي ينقله من

(52). جاك لاكان (1901-1981) ، عالم نفس ومحلل نفسي فرنسي .

دالٍ إلى دالٍ من أجل "منع" الفائض ... الآن، مرة أخرى، هذا الانسحاب - أو هذا الحذر أو عدم الثقة هذه - فيما يتعلق بالاستمتاع، ما الذي لا يزالون يقومون بخداعه؟ ألا يجب أن نخرج بالأحرى من قبضة - أو نقول مأزق - عن فكرة الرضا التي ترتبط بها فكرة السعادة ارتباطًا جوهريًا، أو بالأحرى تجد نفسها فيها منذ البداية عازمة بالتأكيد؟ عند أدورنو، تم رفض دفن التناقض الناشئ عن "الجرح" الأصلي أو الشق، وهذه مقاومة تاريخية على أمل "عالم أفضل". لكن أدورنو يظل محجوزا في فكرة "السعادة" التي، في نفس الوقت، ينتقدها، يمنعه من تصور هذا التناقض البدائي، مثل ذلك الذي يروج للإنسان، والذي من خلاله يمكن إلقاء نظرة على إمكانية "الحياة الحقيقية" في نفس الوقت؛ مثل ذلك الذي يروج للبشر، والذي، في نفس الوقت، من خلاله يمكن إلقاء نظرة على إمكانية "الحياة الحقيقية"؛ وبهذا الخطأ، حسب ما أعتقد، التوى فكره السياسي. منذ الآن استبدل الفكرة الخاطئة عن "السعادة" بمفهوم الحياة الحقيقية، هذه الأخير تروج لنفسها من هذا التناقض ذاته، ألن تخرجنا من مثل هذه التناقض حيث تتشابك فكرة تقدم التاريخ؟ عند لاكان، ومن خلال إبعاده الأصلي (إنه، وفقًا لشروطه، "مغلق" والعودة إلى الواقع، يصبح من المستحيل الموت هناك) لضياع المتعة إلى الأبد، ومع ذلك، فإنه يترك من غير الواضح كيف يمكن للإلغاء الذي يتعرض له موضوع المتعة أن يفتقر إلى منظور أخلاقي. ولأن هذا التناقض الداخلي للرضا، والذي يجعل "السعادة" تنهار، فلا يكفي أن لا نخفيها بعد الآن للخروج من واقع الحياة. ولأن هذا التناقض الداخلي للرضا، والذي يجعل "السعادة" تنهار، فلا يكفي عدم إخفاءها بعد الآن للخروج مما تؤكده فكرة "السعادة" في الحياة على أنها خاطئة، وتغذي الحياة الزائفة. كما يجب أن يتخلص مما يفترض أنه سلبي لا يمكن

علاجه. لأنه لا يستطيع أن يكون راضيا بشكل فعال، "الرجل" لم يتوقف عن التوافق مع ما يمكن أن يكون "الطبيعة"، انطلاقا من طبيعتها، كانت تعتقد أن "الحياة الجيدة"، التي تؤدي إلى "السعادة"، يمكن أن تتأسس عليها. نتيجة لذلك، لم يتوقف أبدًا عن تجاوز أي تكيف معين، مع نفسه كما هو الحال مع عالمه، وحصره في تكيف أصبح عقيمًا. وبهذه الطريقة، لم يتوقف عن رفع نفسه من كل حبس ورضا، في نفسه كما في عالمه، ونتيجة لذلك، كان قادرًا على البدء في "الخروج" -ما يقوله المصطلح اللاتيني حرفيًا (الظهور ، البروز) . عبر ماذا **تعزز الإنسانية** نفسها، إن لم تكن تحرز **التقدم**؟ لذلك لا داعي لإخفاء هذا التناقض الداخلي للبشرية، الشق أو الجرح الأصلي، كما كان يُطلق عليهم، إنها الحكمة التي لم تتوقّف الرغبة في بناء "السعادة" عن إنكارها. لكن ليست هناك حاجة للتنديد بها أيضًا، إما لإيجاد مخرج أسطوري (في المحكي الديني للسقوط) أو طوبوي تماما (في المستقبل المشرق ما بعد الثورة) أو حتى المتشكّكين (بالعودة إلى فرويد ولاكان). بدلاً من ذلك، سيكون من الضروري توضيح فيما سيكون هذا **التناقُض مُثمرًا**، وكيف أنه ما يخلق "البشري"، وكيف يكون عتبة ومصدرًا: كيف تكون، إذن، في قلب إمكانية الحياة الحَقَّة في صراع مع اللا-حياة. إذا لم يعد من الضروري تصور الوصول إلى الحياة الحقيقية من خلال التوافق مع نظام متعال، أو بالرجوع إلى بعض ظروف الحرمان، أو الجنة، فإن "الحياة الحَقة" لا يمكن تحقيقها إلا من خلال رفض السماح "بضياع" الحياة. من خلال عدم السماح بإخفاء الإمكانية المفتوحة، في كل لحظة، في الحياة وفيها تلك الحياة، التي لم تعد تُفقد، تبدأ في أن تكون حياة تحيا.

(V)

حيوات ضائعة

1-الحياة التالِفة والمُشوهة والمُتدهورة (بيشدادجت(بالألمانية) يقول أدورنو) هي الحياة **المفقودة** . ليست كعقاب أصلي أو إلهي، ولكن لما ستؤول إليه في سلطتها وقوتها . ولأن هذه مفارقة في حياتنا وبالتالي ستضيع الحياة الحقيقية لأننا لا نملكها. قد لا تكون هذه الحياة إلا في القصص العظيمة "جنة" ومع ذلك فهي تبقى لصيقة بالامتناع عن التصويت في فك الارتباط؛ فنحن نغرق دون قياس "في مظاهر الحياة" بطريقة يكون من الملائم جدا تصديقها لكن هل هذا صحيح؟ وهل نحن مسؤولون عن ذلك؟ وإن كان هذا هو الحال بالفعل فهل هذا " اختيار" متعمد ومسألة إرادة؟ يتركُ هنا هذا المجال المعروف الذي تم وضع علامة عليه ونبتعد خطوة بخطوة دون مزيد من الدعم من خلال الغوص في أعماق اللا-حياة فيتم ترك "الرذائل" و"الفضائل" في الخلف، وبما أنه يسهل تصويرهما، فما الذي يجب استبداله **أخلاقيا؟**

الطريقة الأولى للحياة الضائعة الأقرب إلى الأخلاق، هي الحياة المستقلة، عندما يبدأ المرء في التراجع في المعاملات، وينكمش بريقه،

ينطفئ شيئا فشيئا دون أن نلاحظ ذلك، وبالتالي فالحياة تكون مغلفة بالأمل وعلينا أن نتوقع الحياة داخل الحياة.الآن لقد أغلقت نهائيا أمام من لم يسمع بهم أبدا ومن هنا تعثرت حياتي، لقد سمحت تدريجيا بأن تتأكد مكتفية بكفايتها في تكيفها مع نفسها ومع عالمها، فقد أصبحت راكدة، ولم تعد وجهة نظر حياتي في مواجهة نفسها والمجتمع، فهل يمكننا الفصل بينهما ؟ سأقول وأنا أتناول هذا المفهوم القديم في حداثتنا أن حياتي كانت بسبب ما أبعدته، فجعلت نفسها غريبة عن نفسها بكل ما تمر به من استغلال وهيمنة وسيطرة، لقد تطورت العلاقات الاجتماعية والاقتصادية كثيرا منذ ماركس وبسطت بشكل أفضل بكثير، ولكن ظاهرة الاغتراب هذه لم يتم إخفاؤها في الوقت الحاضر. فهذا الموضوع الذاتي يوصف بأنه فريد تماما في صمته؛ يجد في نفسه مبادرة وحرية، فإلى أي مدى لا يزال موجودا في عالم تهيمن عليه السوق، حيث تقنن كل شيء؟

وفي نهاية المطاف تم إعادة تشكيل حياتي وأصبحت "شيئا" إنها أكثر من جنة أو تلك العظمة من الحياة فحتى ظهورها في بعض الأحيان مخطط فيه للغاية بطريقة أو بأخرى، فقد سمحت الحياة الحقيقية لنفسها بأن تكون مغطاة وقد سمحت لنفسها بأن تدفن أيضا، كما يقول المعنى الأصلي للكلمة ؛ فالاستقالة تعني الاستقالة، دون أن أدرك ذلك ودون أن أقرر القيام بذلك، بدأت في الاستقالة " من الحياة التي أعيش فيها، لقد بدأت أتركها تدخل في الظلال، في الظل وهي ليست أكثر من مظهر من مظاهر الحياة لأن الاستقالة لا تعني التخلي أو النفي، ولا زالت تواجه وتحتفظ في ذاكرة ما وبطريقة ما، إنه التخلي

عن شيء محدد في حين أن الاستقالة لم تعد محدودة ولم تعد تحدث بين الذات والعالم الذي يواجهها ولكن فقط مع انسحاب الذات إلى الذات ومن الذات إلى الذات في صمت وسرية، فتصبح مستوطنة إنها واسعة النطاق إلى أجل غير مسمى فلا يعرف نهايتها حتى ذكرى الصراع تنطفئ إلى الأبد، وبشكل غير محسوب ضمنيا، في الليل أستقيل ببطء "لم نطلب الكثير من الحياة" يكتبها جيدا المقلدون، فنتعلم أن نطلب أقل من ذلك : كل يوم ومن خلال الاتفاق الضمني على أن المرء لا يجرأ حتى على الاعتراف بنفسه، فيتم قبول التخلي، ومن خلال القيام بذلك فإنه لا يزال يعكس مبادرة موضوع ما حتى لو كان في طور التخلي عن مبادرة الموضوع هذه، لكن الاستقالة تصدق عندما يفقد هذا الأمل في المبادرة، فيتم الموافقة على التخلي ويتم الاعتراف بالاستقالة والمعاناة . و لهذا السبب ففي هذه الخيانة الغير معروفة إشارة فعلا إلى فقدان الحياة الحقيقية اتجاه الذات وكذلك اتجاه الآخرين، وفي اليوم الأول من حياة الأبرياء يبدأ العشاق في إعادة الاندماج، فيكون هناك أول "وجع في القلب" وهي عبارة عن شيء مؤلم ومميت للغاية وأيضا سري ونهائي، لا يتوقف حدوثه بعد ذلك ضمن تواطؤهم العادي، لقد اكتسب انتعاشا فجأة موطئ قدم إنها ليست " سحابة في السماء" وفقا للصورة التي أنهكتنا كثيرا ولكن شيئا من هذا "الأزرق" الذي سمح لنفسه بتغطية غير محسوسة لما يلمح كزوجين أي من المجهول المحتمل "الحياة الحقيقية" التي لم يسمح بها أحد فتراجع الجميع إلى الجانب، ولكن هذا التقدم الغير ظاهر أسوأ من ثعبان قاتل ؛ فهذا الصمت الأول غير واضح، فيصبح صدعا وشقا، وخطأ وسيصبح خندقا من ناحية أخرى، فإن الخداع (حجة)

هو أكثر ضخامة وأقل قسوة، إنه عرضي وواقعي لأنه قابل للإصلاح، تشعر بالفعل بأنه لا يمكن إصلاحه دون الاعتراف بذلك بشكل صحيح، فبدأنا بالسماح لأنفسنا بالذهاب إلى المبتذل والمغري للغاية، "إنها الحياة" وهذا الحكم المكتسب تطبيع لحياتنا واستيعاب للمحة غير مسموعة بين إثنين في راحة ما وهو بشكل عام معترف به، فبدأنا بالتراجع إلى "الواضح" الذي لم يقم أحد بتأسيسه على الإطلاق ولم يبرره أحد على الإطلاق، لما يمكن أن تكون عليه الحياة؛ (أي في الواقع) وبشكل معقد، دعونا ننتقل إلى ما لم نكن نعرفه للحظات، رغم أننا لم نجرب في ذلك اليوم على تحديها وإحباطها في نفس الوقت، الذي نقول فيه لأنفسنا أننا سنصلح هذا لاحقا ونشعر بالفعل أن السماح لهذا المرور ضمنيا هو للحصول على موضع قدم لاعتماده فنجعله غير قابل للإصلاح إلى الأبد . فهل لمست هناك وبشكل غير متوقع دون أن أعرف ذلك قانونا غير مكتوب للعيش؟ هل ذهبت إلى نهاية شر الإنسان والحد الذي يتم اكتشافه؟ على أي حال، لقد بدأنا في حزم أمتعتنا ومغادرة مقر "الإقامة" كما يقول أفلاطون، أي مقاومة الواقع والحياة الحقيقة، لذا فإن حياتي بسبب ما استهدفته سرا بدأت بالفعل **بالتعثر** ولم تعد تظهر.

2-هل يمكننا أن نقول ذلك بشكل مختلف؟ في الواقع إنه من خلال الصورة وإلى حد كبير ينتعش الشخص الذي يجعلنا نغفل عن الحياة الحقيقية فقد سمح الآن لنفسه بأن يندمج في الإطار المقيد والمتجمد لحياتي، وغزا كل المحيط الهائل وداب في سمك وخطورة الأشياء، هو وحده مع السرير والطاولة والكرسي بدراعين في

الجدار المقابل؟ ربما حتى مع هذا الوجه الذي يواجهني كل يوم، وفي نفس المكان، مع الشخص الذي أعيش معه كما يقولون والذي نعرف ميزته مسبقا والتي تكون جميع ردود أفعاله متوقعة، فتتلاشى وتتجمد بالنسبة لي، أو تصب في الاضمحلال: هل يمكننا أن نقول ذلك من خلال الصورة؟ وما الحد الذي يدفعه هذا الغرق الحالي إلى الترهل الصامت والتراكم السري فيصبح غير محسوس؟ فمن خلال "التراكم" لا تزال الصورة قادرة على لفت انتباهه وإبقائه للحظة على السطح فيعترض على المستوى و النتيجة . إن القول بأن حياتي أصبحت متعثرة، وأنها تغرق في الوحل الطيني، حيث لم يعد بإمكانها المضي قدما هو أن نلاحظ فقدان الحافز. والذهاب الذي يجعل الحياة كما هي في حالة تأهب وليست خاملة في طور الاستهلال، قد فرضت نفسها لدرجة أنها تمر الآن دون أن يلاحظها أحد من قبل ولم تعد تصل إلي، وسيكون هناك ظهور لمستويات كثيرة جدا من الخضوع والعبور بحيث لاتزال الاستقالة تحتفظ بشيء واع، حتى لو كانت كل إرادة تجد نفسها غارقة داخل هذه الاستقالة .الإرادة السلبية التي تنسكب داخلها تُبقي الشك في نفسها، و تستسلم ، ولا يزال التراجع عن الاحتمالات ينظر إليه في ظل هذا المغزى الذي لا ينطلق التعافي إلا من نفسه ومن مجاملته الخاصة، أو ربما فقط في يوم من الأيام من خلال هزة لا يمكن أن تأتي إلا من الخارج، سيكون من المهم أن نقول من أين يمكن أن يأتي هذا الانفجار ؟ فأجد فجأة أن حياتي أصبحت متشابكة دون أن يظهر أي شيء بعيد لدرجة أني دفنت نفسي كما لو أني عدت أخيرا من عالم الموتى : أو استيقظت من فقدان الذاكرة لما يُحتملُ أن تكون عليه الحياة، ففقدان الذاكرة الذي لا أعرف حتى إن

كان قادرا على البدء، فالحياة المتعثرة هي الحياة التي لم تعد تعرف نفسها بالمبادرة، ولم تعد تدشنها، لقد خسرت نفسها وشلت حركتها في عادتها، ولم تعد تتفكك بما فيه الكفاية مع نفسها كما هو الحال مع عالمها، ولم تعد تتطابق بما فيه الكفاية مع أنماط الكفاية والتكيف التي تجعله سريرها وراحتها فلم تعد تفتح مساحة كافية مع نفسها، ووفقا لما هو فجوة في التزوير السابق، وفي هذا الغرق والتراجع الذي ليس من شأن الوسط أو الماضي أن يرى أكثر من اللازم، لأنه سينظر إليه بعد ذلك على أنه ضغط سلبي سيظل يدفع المرء نفسه إلى التفاعل، لكن الحياة سمحت لنفسها بأن تستوعب تحتها لدرجة أنها لم تعد قادرة على فصل نفسها عنها.لقد تم إفراز **الالتِصاق** وترسيبه أثناء الحياة، لدرجة أننا لم نعد "نبتلع" فهل هذه الصورة تافهة كما هي ويمكن تجاوزها؟ كيف تنضاف الأيام إلى الأيام، وكل يوم يعود إلى اليوم السابق فتدان الحياة في المكان السري وهو ما يصعب للغاية و على نفس المنوال لفت الانتباه إليها على الفور فلم تعد تشك في مكانها ولا تأخذ القوة التي أصبحت محتكرة من التثبيت رسميا، ففقدت الرواية في صبرها، فقد أدرك الروائيون الفرنسيون العُظماء في القرن التاسع عشر على أنه على الأقل توجد قابلية للفهم حيث رسموا "المُحافظات" بلزاك بسومير أو ستندال في "نانسي " لكن كان هناك الكثير من العاطفة في أحدهما والكثير من السخرية في الآخر فضلا عن البحث عن الحميمي الذي لا يمكن أن يزدهر بعيدا عن الطموحات الكبيرة، فانسحبوا من باريس حتى يتمكنوا من التوقف لفترة طويلة. فلوبير على العكس من ذلك توقف كثيرا عند هذا العالم كثيرا، ومن هنا أيضا تأتي حداثته. إيما تموت ليس بخيبة أمل

أو بانجلاء الأوهام، وهو ما يعد سببيا جدا، ولكن من حيث حياتها التي ، على طول الأيام ، تدهورت وأصيبت بالشلل داخل شبه حياة ؛ ومن أجل أن تهرب من ذلك لم يعُد هناك ما تتشبثُ به .من الأفضل ، إذن ، الموت بدل اللا-حياة .

لأن التعثر لا يختزل إلى مقولة سيكولوجية ، وإذن من جديد لا يسمح لنفسه بأن يتم احتواؤه داخل التجريبي : "العادة " المشهورة التي طالما تمت إدانتها .من جديد هذا المبتذل وبدون جدال الميتافيزيقي من حيث المبدأ هو ما يعطي الكشف عن الحد الأدنى للميتافيزيقي الذي بقي في الإطار العادي دون السماح بنقله إلى مشهد كبير، منفصل عن العالم وعن الميتافزيقي، لأن "القراءة " التي تتعثر في حياتنا هي تلك الخاصة بوجودنا في العالم، أو بالأحرى تتأتى من حقيقة أننا لم نعد "في العالم"، كما هو الحال في حداثتها و اتساعها، وفي هذا المكان الذي أستيقظ فيه كل صباح وفي هذه السلوكيات تم تقييد حياتي، فأصبحت رغباتي متشابكة، ولم أعد في دروة العالم لإنجاز القول، لقد فقدت ضخامة العالم والحياة "إن القراءة" التي تتعثر فيها حياتي وتفرز من حقيقة أن كل شيء، كل إماءة، وكل فكرة، أصبحت الآن في مكانها ولم تعد تظهر يعني أن الاقتطاع يترسخ وأن الحياة الطبيعية تنتشر، وأن المطابقة تتراكم حيث يتم تقييد الحياة ، فبأي طريقة نفهم أن الرذيلة المعنية هي الغرق في اللا-حياة، و هي موجودة في هذا الكائن، أو لماذا نعتمد على الميتافيزيقا، فإذا كان من شيء يجب أن يكون فهو "أن يكون حاضرا" ولكن هذا هو التعريف الوحيد للكائن، الكائن الذي ينتشر في حضوره ويستقر في كيانه هناك، وبالتالي يعطل قدرته على أن يكون

من خلال فرض نفسه في كيانه، فيفقد قوته على أن يكون لذلك ومن خلال الشروع في إزالة الصدفة تجاه هذا الكائن، و يمكن أن نبدأ في إزالة التعثر في الحياة، عن طريق إطلاق النار والمغادرة عن طريق السفر : أي مغادرة تفتح في حد ذاتها فجوة، لأن الرحيل لا ينتج وحده تدميرا للعادات، أو يزعج الترتيب الجديد ويعيد التشويق ما سمح لنفسه بالاستيعاب والتدوين . لكنه فجأة يفيض على الإطارات المثبتة ويسد التجربة، ويعيد فتحها على المحتمل ولهذا السبب كان من الممكن أن يكون هناك ندم على المغادرة، فإذا كان الرحيل هو الاستسلام فلا يمكن تجنب الحزن، فهناك دائما من ناحية أخرى شيء مبتهج لا يقاوم في المغادرة، ولا يؤكد الرحيل فضيلة الخلع من مكانه فحسب بل يسمح أيضا بالالتقاء مرة أخرى، ومن ناحية أخرى يأتي الجمود من الذين لم نعد نلتقي بهم هناك، لأن اللقاء يوجه مرة أخرى نحو الآخر، نحو الخارج الذي لم يندمج بعد، فيحيي "العداء" (اللقاء في اللقاء) ويجعل الناس يواجهونه، وبالتالي فإن اللقاء لا يمكن التنبؤ به أبدا فيما يمكن أن يحدث له فهو لا يقطع مسار الزمن و يحيي الحاضر بفصله عن الماضي فحسب ولكن قبل كل شيء من خلال تجريب المرء من نفسه قليلا ومن خلال التخلص من استقلالية المرء فيقوده من "التميز" عن نفسه وبالتالي يندلع الاجتماع بسبب ما يسببه الاقتحام الذي يكسر السياج الداخلي ويذهل الذات، ويعيد إدخال حياة أخرى ممكنة إلى حياتنا. فكيف يكون اللقاء احتفاليا ؟ أو على العكس من ذلك فيما ذا يكون الحفل لقاء ؟ هذه هي الطريقة التي سنعرِّف بها الإثنين، الحفل كما هو اللقاء : إنهما الواحد والآخر ، الواحد بواسطة الآخر، وهو ما يمكن أن يُزيل تعثر الحياة .

3- و من خلال إعطاء وصف لكيفية فقدان الحياة التي لم تعد تواجه، ولم تعد تتزامن مع نفسها وتستقر هناك، وتنتشر في الكائن، وتفقد مبادرتها، فكيف لم تعد قادرة على التميز عن نفسها، وترى أنها تتراجع عن إمكانيتها ولم تعد تتقدم، إن مفهوم الجمود يمس ميتافيزيقا الوجود، وبالمقارنة يمكن للمرء أن يقول ذلك في الطرف الآخر من الطيف، إن الاغتراب ومن خلال المحاسبة الماركسية، أصبحت خلاله الحياة غريبة عن نفسها، في ظل الظروف الغامضة التي تواجه العالم، والتي هي في المقام الأول اجتماعية و اقتصادية، تنتقد ظاهريا أي "ميتافيزيقا"، فالأول هو الاغتراب الذي تمت إدانته وهو اغتراب في الفلسفة، وقد أشير إلى مثالتيه، ولكن ألا يمكن لهذين المفهومين أن يتقاطعا ويساهما في التعريف المشترك للحياة الواقعية بشكل سلبي؟ فكيف يتم نقل الحياة بلا هوادة ؟ فسواء من الخارج أو الداخل هناك مظهر من مظاهر الحياة وأيضا الحياة الزائفة، وبينهما يتواصل الميتافيزيقي والسياسي، وبالتالي فإن مفهوم الحياة الواقعية يؤدي إلى صياغة التحليل الاجتماعي والاقتصادي مع التحليل الوجودي مع احتمال الاضطرار إلى نقص الفاصل في النغمة، -من الأكثر حميمية إلى الأكثر موضوعية وجماعية-وفصل أحدهما عن الآخر وبالتالي ألا يكون هذا التمزق في حد ذاته مزيفا ؟ فلكي تكون قادرا على التميز عن الذات من خلال إزالة سحر حياة المرء، كما تقول حياته بشكل صحيح فإن القدرة على "التفوق السابق" تسير جنبا إلى جنب ولا يمكن تحقيقها إلا مع حقيقية عدم الوقوع خارج الذات وفصلها عن نفسها بطريقة مقيدة، مثل مفهوم الاغتراب، لذلك فمن الضروري النظر في هاذين المفهومين على التوالي وفي توترهما وفي

الغموض الكبير الذي يوجد فيهما، فهذا الغموض هو الذي أدى إلى فشل" هيدجر "في تحليله الوجودي ل" القلق" الذي يؤدي إلى "القلق"، ولكن أين يتم لعب الخسارة أو إمكانية الحقيقة في الحياة.

- وبما أن طرفي هذا الغموض يجدان مكانهما عند هيغل فمن الضروري أولا تحديد كيفية تشبتهما (بين الاستلاب والاستلاب الاجتماعي)، من خلال حصر الذات في هوية المرء الصامتة من خلالها " يصبح المرء آخرا"، من خلال جعل نفسه غريبا عن نفسه، إن الذات في تطورها يمكن أن ترتفع من "جوهر إلى موضوع"، و بعبارة أخرى فإن الذات توجد على قيد الحياة لأنها تصل إلى "حياة الروح"، ولكن من ناحية أخرى فيما يتعلق بعالمها تصبح غريبة عن نفسها، فقد ضاع العقل في التاريخ نتيجة الانقسام الناجم بين محتواه الخاص ووجوده خارج الثقافة (فينومينولوجيا [53]العقل بين الفصلين 3و6) إن الجدلية هي في الواقع نفس الموقفين ولكنها تفهم من وجهة نظر واحدة وهي أن الاغتراب يقوم إما على الترقية أو الحرمان، فالحركة الذاتية المثمرة للسلبية أو عملية الاتصال والإقصاء التي تنطوي عليها فعندما يعمل "الرأسمال"[54] من وجهة نظر ما ماركس على تسمية العلاقة الاجتماعية التي تحولُ الأفراد على نطاق واسع إلى عابرين وإلى مالكين إلى قوة عملهم الوحيدة، فتصبح هذا الاخير بضاعة من خلال أنماط التجريب. لا يتم دمج الذاتية في الموضوعية (لوكاش[55]) فحسب بل يتم فقدان التفرد المطلق أيضا في ظل

---

(53). مؤلف هيغل ، ظهر سنة 1807.

(54). كتاب كارل ماركس في نقد الاقتصاد السياسي، ظهر سنة 1867.

(55).جورج لوكاش (1885-1971) ، الفيلسوف الماركسي الهنغاري.

التوحيد القياسي المفروض(أدورنو)، بحيث يختفي مجال التجربة الفردية بشكل صحيح تحت هذا التداخل.

فيتساءل المرء عما إذا كان مفهوم الاغتراب هو مفهوم الاكتفاء الذاتي لتفسير هذا التناقض المضاد الذي هو في الواقع تناقض رئيسي، ولكن لماذا هذا الهروب من الفكر، لماذا لا تعيش الحياة أو لماذا تضيع؟ صحيح جدا أن مفهوم الاغتراب قد توسع إلى حد أنه لا يبدوا أن هناك شيئا محدودا بعد الآن، ليس فقط من خلال الانقلاب على الديكتاتورية التي ولدتها الدولة الاشتراكية، والتي ولدت مع الماركسية؛ ولكن أيضا من خلال توسيع نطاقها (قضية المرأة، المستعمرون، البيئة إلخ) فبطريقة لا نرى ما الذي سيوقفنا غير أنه في الوقت نفسه وفي ظل التمديد الغير محدود على ما يبدو لاختصاصها فإن أهميتها موضع شك، ليس لأنه قديم تاريخيا ولكن ذلك يعود إلى الفصل بين الاستهلاك والإنتاج، فيصبح الاستهلاك نفسه منتجا فيما يسمى النيوليبيرالية (أطروحة فوكو في ولادة السياسة الحيوية) ولكن لأن هذا المفهوم من الاغتراب كان يتصور بالفعل كتمرد ضده، فلم يكن يعرف كيف يفكر باسم ما كان يفعله لقد بقيت بلا سبب بناء على ما يبررها بطريقة لا تعارض ولا تمدد فحسب بل تقترح وتروج أيضا، لقد بقيت هي نفسها بدون مفهوم سابق يمكنه طرحه كمبدأ والذي يميل إليه لبناء مشروعه "الإنساني". فهذا المفهوم المفقود، في المنبع مشروعه الثوري الذي لم يعد يحتمل، ولم يعد لديه أساس، لا يمكن أن يكون قبل ذلك في الحياة الحقيقية، بالمعنى الغير قابل للاختزال في التجريبية، والحد الأدنى من الميتافيزيقا، فمن يسخر

جهده للتفكير في الأمر؟ وبما أن الحياة "ليست كافية، وتترك بالمعنى الطبيعي أو الأخلاقي: "امنح الرجال الراحة والترفيه"، كما كتب "هورني لوفيبر[56] "، المُروِّج الرئيسي في فرنسا لمفهوم الأمة الاغترابية، "أنقدهم من المجتمع البرجوازي "، إنهم سيعيدون الكتابة بالحياة الطبيعية، وسوف يتخلصون من الاغتراب ويقفزون من حياتهم القديمة إلى حياة جديدة، لكن أليست هذه السذاجة غريبة، أكثر قلقا لأنها هي نفسها لا يبدو أنها قلقة بشأنها؟ وقد أدينت هانا أرندت عن حق هذا الاقتراح، وهي الفلسفة الميكانيكية التي تنص على أن القوى العاملة لا تضيع أبدا بمجرد أنها لم تعد منهكة في "الأعمال المنزلية"، سوف تغدي تلقائيا الأنشطة "العليا" (في حالة الإنسان الحديث) .

"بعد مئة عام من ماركس نرى خطأ هذا المنطق، إن أوقات فراغ العمال ستكرس دائما فقط للاستهلاك"، وكلما زاد الوقت الذي يعطى لهم، كلما كانت شهيتهم لا تشبع.

بالنسبة للرجال لديهم المزيد من العمل، ولأن لديهم المزيد من الإجازات، ونتيجة لذلك سيحررون أنفسهم ويزرعون أنفسهم ويصبحون "شعراء"، كما يقول هونري لوفيبر فلا يلتقي فقط إنكار عصرنا الحالي وهو إنكار رائع، بل إن الفشل الملحوظ في تحلية المياه ليس تاريخيا فحسب بل مرة أخرى لا يمكننا أن نبقى تجريبين، ويرجع هذا الفشل أساسا إلى حقيقة أن الماركسية كانت راضية عن جنة الشيوعية العلمانية السهلة والفضة ولم تحاول أن تفكر ضد ظواهر الاغتراب التي ستتكاثر بالفعل، فيما ستكون عليه الحياة الحقيقية

(56).هنري لوفيبر (1901-1991) ،فيلسوف فرنسي ، انشغل بالسوسيولوجيا.

بالضبط في معارضتها، لكن هذا هو ما لا يوجد في الماركسية، لقد أفسد ذلك رحيلها وهذا بلا شك هو السبب الرئيسي لفشلها، إن الماركسية المهووسة بإدانة إنحراف الميتافيزيقيا ، فشلت في تصور ما بين التفكك السياسي وتفكك الوجود.

ونتيجة لذلك فشلت في مراعاة الحد الأدنى للميتافيزيقي الذي ينطوي عليه هذا الإلغاء للاغتراب، وهذا هو السبب في أن الماركسية اضطرت دائما إلى فرض القناعة حتى في دروتها، وعندما لم تعد قادرة على فرد نفسها بسبب الديكتاتورية، انهارت.

إنما يجري هنا بسبب "الرومانسية الثورية" التي ليست مجرد قصص وزخرفة فحسب، لأن لها وظيفة اختباء في النظري والبحثي، فقد حاولت الماركسية التهرب من السؤال الأساسي، الذي كان ينبغي مواجهته، فهل يمكننا أن نكون راضين عن عدم كفاءة "الحياة الطبيعية" أو "الحياة القديمة" و "الحياة الجديدة" (فما زلنا نشعر أننا مثل القديس بولس) فكيف يمكننا أن نمر تلقائيا من واحد إلى آخر؟ وبالتالي فإن التعبير عن التفكير هو بين هذين المفهومين اللذين نرى كيف يمكن تصورهما بشكل مشترك، ففي نفس الوقت الذي ينقلب فيه كل منهما رأسا على عقب عن بعضهما البعض، وهما مفهوما "المصادرة والوجود" فكيف سنزرع الملكية السابقة من قبل الرأسمال، كطرد للذات التي تبتعد عن الحياة الذاتية وتفريغها من نفسها، وهذا تحت قيد الآخر الذي أصبح مجهولا فيكتشف نقيضه أو يجد أنه معكوس في التجريد السابق، أي يقول القدرة على تعزيز الحياة والقدرة على "التميز" الذاتي وبالتالي لقاء الآخر، لذلك لا ينبغي

للمرء أن يكون راضيا عن النقد السلبي للحياة المغتربة وتصورها أنها مقلوبة رأسا عن عقب، ليس بنشوة وسعادة (الجنة الشيوعية) فما يمكن أن يكون "للحياة الحقيقية "هو ما يمكن أن يجعلها في الواقع حقيقية.

في حين إذا كانت "الحياة هي التي نوقشت بالفعل في المرحلة الثانية من عمل هونري لوفيفر تلك التي يكرسها للحياة اليومية، بعد طرده من الحزب فإننا نرى إذن الاستدعاء للحياة نفسها، دون مزيد من التفصيل ودون فهم المفهوم باعتباره الكائن الوحيد الممكن، الكائن العالمي الوحيد والكائن الوحيد المتبقي لمفهوم الاغتراب، سندع هذا الشخص غير متسق، ولأن الفكر لم يعد قادرا على إقامة هذه المؤسسة كموضوع عظيم للتاريخ يتعارض مع نقيضه، سواء كان ذلك في "الروح" أو في مواجهة عالم "الثقافة" أو البروليتاريا في مواجهة النظام الرأسمالي، فهو في الواقع عاجز وبشكل غريب وهذا له نتيجتان متداخلتان فلأننا لم نعد قادرين على الاعتماد على منطق انعكاس الداخلي للتغلب على التناقض المرتكب، لم نعد نرى كيف لا يمكن أن تظهر "الحياة" من تلقاء نفسها، دون أي محدد آخر ودون مزيد من التبرير الداخلي من خلال تحديد الشرط . إن هذا الاغتراب الذي يدينها ، علاوة على ذلك ، هو اغتراب يحدث أكثر في الوقت الحاضر، فالطريقة المنتشرة أو بالأحرى الوبائية هي حقيقة تقول إن هناك عنصرا عدائيا قابلا للعزلة وجها لوجه، فيمكن للمرء أن يعارضه وفي ظل السيطرة والهيمنة المتزايدتين الواسعتين اللتين أحدثتهما العولمة، لم يعد الاغتراب محليا بل أصبح وحشيا منذ البداية،

وأصبح بلا حدود في نفس الوقت الذي أصبح فيه مُعولما بينما تغزوا الحياة اليومية جميع الجوانب كما تحفر جميع أنماط الحياة، فكيف يمكننا أن نقف في وجهها ونقاومها؟

4- على طاولة القهوة يقدم الزوجان اللذان يلعب كل منهما على هاتفه المحمول وحيث تخلى كلاهما أثناء مواجهة بعضهما البعض، فخلقا مشهدا عاديا من الاغتراب المعاصر الذي لم نعد نلاحظه، فكل واحد يفتقد حضوره للآخر وحتى إن كان غائبا في نفس الوقت عن حياته فيجد نفسه "مسردا" من نفسه دون علمه بدلا من "الوقوف من تلقاء نفسه" للقاء الآخر، وقد تحول كلاهما إلى ما أصبح الآن مظهرا من مظاهر العلاقة الحميمية، نتيجة للحياة الزائفة لأن الرقمنة الافتراضية الآن قد خففت من "الواقعية" الحقيقية للحياة، وقد حلت فعالية الوجود في غياب الوجود التي يستمد منه عدم الاهتمام بالحياة التي تفقد الحياة (وفقا لمفهوم " الاهتمام بالحياة" الذي بدأ بيرغسون في تفصيله في نهاية الفكر والحركة، ولكن من خلال تركها تسقط بسبب نقص دعم المفاهيم في الذاتية) مثل هذا التأجيل المستمر، "اتصال غير محدد وأكثر فضاضة، وفي نفس الوقت أكثر صمتا من إمكانية الوصول إلى الحياة الحقيقية، فالتواصل من خلال إزالة اللهيب والمصادرة من خلال التمدد في جميع الاتجاهات يجعلنا نفقد عنوانا وجها لوجه يلغي إمكانية اللقاء، أو دعونا نقول في هذا العالم ومن الواجهة المعممة، يتم قتل المواجهة من خلال العلاقة الواسعة والمستنبطة بلا حدود، والتي ليست أكثر من تيليغرام، لأن كل شيء

يتضاعف بشكل حر ويصبح في متناول اليد فكل شيء يتأخر في الخروج وكل شيء من ذلك الحين يصبح ممكنا على قدم المساواة، فلم يعد هناك ما يكفي من المسافة في هذا المجتمع كمحاكاة لأجل غير مسمى للآخر، فالآخر يجب أن يكون هو الآخر.

ولا يعني ذلك أن أنماط الاغتراب السابقة هي أنماط الاستغلال الرأسمالي، فقد ألغيت من خلال إعادة تشكيل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي لا تنفصم على نطاق عالمي، فيتم دفنها تحت أقدام الآخرين الذين يخفونها ويشوهونها، فالذي يمارس قيادته بالقوة أقل من كونه ضمنيا ومتفرعا ولم يعد هناك الكثير من الارتداد المترامي الأطراف . دعونا نفكر فقط في الكيفية التي أدى بها الإفراط في تجميع البيانات وكذلك تكاثر المعلومات إلى تأسيس إمبراطوريتهم، وتوسيع حياتنا تحت ستار نشرها بطريقة أصبحت مستحيلة تماما وحتى التفكير في الأمر أصبح مستحيلا، ويترتب عن ذلك أن سيادة اللحظي التي تم ترسيخها (أسطورة "في الزمن الفِعلي") تحافظ على نظام رد الفعل الذي يمنع التباعد، وبالتالي الوعي بأن الاغتراب يحدث تحت ستار الترشيد. فليس الربح فقط هو الذي يجعل هيمنتنا تبدو مبررة ذاتيا، فالأفكار والسلوكيات أقل خضوعا مما هي عليه، لما يجعل المقاومة مستحيلة لأنه بدون قبضة لا يمكن التشبث بها والنتيجة هي الشمولية الكامنة والسرية التي يتم نشرها إلى أجل غير مسمى، إننا لم نعد قادرين على استهدافها ولكن سنصبح منها، فالمؤلفون المشاركون والمسؤولون مشاركون من خلال عدم قدرتهم على المشاركة ببيانات لأن كلاهما مهووس وغازي، فيعيش

الاغتراب في سلبية لم تعد قائمة على الخضوع والطاعة (لا تزال تدعو إلى التمرد) فالنفود والالتصاق أصبحت سيطرتهما على الحياة أكثر خبثا لأنها مقطرة وضئيلة في الأمور العادية لدرجة أنها لم تعد محسوسة، لم نعد نكتشفها.

هل سنكون قادرين على مواجهة ما ليس له وجه؟ أو يمكننا على الأقل أن نبني أنفسنا دفاعيا؟ فبعض الغضب هو محاولة الوقوف للحفاظ على سلامتنا و محاولة الحفاظ على أنفسنا باستثناء، الاغتراب الأكثر تقييدا إنه محبط وكبش متسلل، فإذا لم يكن الأمر يتعلق بتكرار التجربة الأبدية التي أجريت على هذه التقنية التي هي ردة فعل رجعية و مقاومة، فكل شيء يلعب في هذا التناقض، فكيف لهذا الاختراع التقني الذي يدفعه السوق، يجعل المرء يستطيع الوصول لجهاز الكمبيوتر و يخترعه للبقاء على قيد الحياة، فكثير من الحيل هي للتعويض عن النقص، ومن ثمة هو بديل عن عدم السماح للحياة بالاغتراب من قبل الراحة الزائفة ومن خلال رفض رؤية الحياة بشكل مستمر، فوضعها تحت الظروف والضغط من قبل شخص خارجي لم يعد لديه وجه فيصادرها بسهولة في أي وقت (الهاتف المحمول الذي لدينا في متناول اليد ، **عَمَلِي**) فهل سننقد أنفسنا هكذا؟ وهل يمكن لمفهوم "الحكم الذاتي" الذي أعادت تشكيله الأخلاق في العصر الحديث وأسست نفسها عليه أن يقاومها؟ وفي الوقت ذاته، فإن الشخص الذي يرفض دخول اللعبة يحذر "أدورنو " من أنه يسعى إلى جعل وجوده الخاص صورة هشة لما يجب أن يكون عليه حقا، وسيكون من الجيد عدم نسيان هذه الهشاشة وعدم تجاهل مدى أهمية

الصورة التي تجعلها الحياة حقيقية، فبالنسبة لهذا الانتقاد الذي يواجه الاغتراب والذي يهدد أكثر فأكثر من الناحية الفنية فإن الحياة محفوفة بالمخاطر لدرجة أنه يمكن للمرء أن يخشى دائما من أن يتم لعبها و محاكاتها، و بما أنه لم يجد دعما فعالا سواء في الفكر أو في الحياة وما لم يتصور مفهوم الحياة الحقيقية فإن الحياة بالمعنى الحقيقي هي فقط بمعنى المصطلح (بين المصطلح الذي يعارض الحياة الزائفة) و يكون بمثابة دعم وسلاح لمواجهة هذا الحرمان الذي سقطت فيه الحياة، لأنه لا يمكن أن يكون باسم القيم "القيم" ونحن نعلم بالفعل أنه دائما من وجهة النظر ومن خلال تكسير مقولة الخير التي هي حصرية وإيديولوجية في جوهرها، ولا حتى باسم ما يجب أن يكون (إعادة الأنسنة) للحياة والتي ستصبح غير إنسانية بسبب الطبيعة الجامحة للتكنولوجيا وتقدمها المفرط، حيث يصرخ الرأي العام عن اليوم من أجل علاج هذا الخطر الكبير، لأن هذه الدعوة إلى نظام الإنسانية لا يتدخل إلا كتعويض وهناك دائما خطر أن يظل خطابا ضعيفا، وخطابا وعظيا يتغدى على "النوايا الحسنة" كما يقال، ولكنه مغالط تحت رقصته الخطابية، لأنه يتهرب من الفوضى ويظهر أمام أعيننا من جديد لأن هذه "الإنسانية الجديدة " لا تتوقف عن الادعاء على عجل لمواجهة ما يهددنا بعدم عيش هذه الحياة ولا على "طبيعة بشرية" نعرف أنها لم تعد مقبولة، كما هو الحال على حافة البحر فإن "الرجل قد دخل بالفعل حقبة جديدة من الطفرات التي تمنع من التطور وبالتالي الإحاطة الشاملة، وهذا الأخير يتوسع من خلال تشريح وإدانة الحياة خطوة بخطوة، ومن خلال النزول إلى مرحلة أخرى في "اللا-حياة لا يمكننا أن نبدأ في المماطلة وفي المقاومة، فبعد الاغتراب

يأتي أخيرا "إعادة التأهيل "كتتويج ونتيجة للتخلص" دع الحياة تصبح شيئا وبالتالي كي تصير اللا-حياة بشكل نهائي.

5-ألم يحن الوقت لإعادة استعمال المفاهيم الماركسية من خلال إزالتها من الظلال، ومنحها" حياة ثانية" وتحريرها من شكل الرأسمالية التي ولدت منها من أجل استغلال مواردها، وهذا لن يكون ضد الماركسية ولكن بادئ ذي بدء ليس من الغريب أنها علامة جيدة، سواء في صراعها المادي المتكرر أو رفضها لأي حياة الأخرى، أو رغبتها في معرفة واقع آخر غير "المادة" فإذا كان من الممكن تصور ما يمكن أن تكون عليه الحياة وكيف تصبح الحياة "شيئا" أو أنها " تعيد صياغتها" ؟

ويمكن تصور ذلك من خلال المطلب العقلاني الذي يعتمد على العقل، من خلال الرياضيات التي تعيد إحياء الحياة أو قتلها في الأصل، لأن "راي فيكشن" ووفقا لمفهومه الحديث ليس له علاقة تذكر للأسف مع التحجر الذي يوجد في الأخلاق القديمة عند كاليكلاس في مواجهة وسقراط، ويفقد "حجَر" الحياة لأن هذا الأخير سمح لنفسه باحتوائها من خلال الزهد ففقد حيوية الرغبة ونشوتها ، فإذا كان هناك إعادة لتشكيل رأسمالي من خلال اختزال البشرية في قوة عملها، لأن الحياة تعود إلى الأشياء القابلة للتبادل و محكوم عليها بما أسماه ماركس بجدارة صنمية لسلعة في تجريدها الحقيقي، فهي تنكر الحياة وتحافظ عليها في الحياة الزائفة ووفقا لكلمات ماركس الشاب الذي لا يزال صداها إلى الآن "قيمة التبادل" التي تحول العلاقة الاجتماعية للناس إلى سلوك اجتماعي للأشياء، وبما

أن وقت العمل الآن هو كل شيء فلم يعد للإنسان شيء إنه على الأكثر من ذلك جثة الزمن ، فنحن الآن بعيدون كل البعد عن الجامع البهيج للحياة اليونانية التي تتعجب من ملئها المستحيل في إعادة التجديد، وتحدث معرفة الأشخاص المغتربين الذين يعانون من السلبية والخسارة الشديدة ليس للحياة بالموت ولكن لما يجعل في الحياة عدم موت الحياة، لأن الحياة هي التي لا تتوقف في الحياة على العكس من نقيضها، بل تعيد صياغتها أو تصبح شيئا، لنفترض أن عكس الحياة هو حالة "الشيء" فإذا كانت جثثنا باردة عندما نكون أمواتا لأننا نكون مثل الخشب . فالعمر هو تجربة فقط وهذا يحدث في حياتنا بطريقة ليست فيزيولوجية فقط، ولكن بطريقة يمكن أن نقول عنها أنها روحية، فإعادة تشكيل الفترة الفاصلة بينهما من خلال التراجع عن الازدواجية هو أن الحياة يتم "إعادة صياغتها بشكل صحيح" فنتجنب ترك المفهوم ينحرف من خلال ربطه بالموضوع كما حدث مع لوكاش لأنه انطلق من إعادة التشكيل إلى عظمة التصميمات الداخلية إنه يفقد أهميته و اتساقه مثل الموضوع، علاوة على ذلك سواء كانت الحياة هي التي يتم إعادة صياغتها فسوف تمنع المفهوم من التخلص منها في علم النفس وهذا غير موجود في علم الاجتماع، ومن خلال التشتت والتقسيم إلى استخدامات مختلفة عن طريق التآكل أو من التشتت والتقسيم إلى استخدامات مختلفة عن طريق انهيار الصرامة التي لا يعفى منها نفي أدورنو ، فعندما يتعامل مع إعادة تشكيل الوعي أو "قولبة الأحداث وتصلبها وإعادة تشكيلها" فالمفهوم التجديدي يميل إلى الاختزال وإلى التوحيد القياسي، سواء التوحيد القياسي أو الوظيفي وهذه بالفعل هي سمة الفكر الجدلي وهي إعادة

التجديد كما يقول "أدورنو" حيث يرفض تأكيد التفرد في انفصاله وعزلته، وحركة الحياة ذاتها الذي يحررها هذا الفكر كما أشار إلى ذلك هيغل في كتابه "السيولة وتطورها اللانهائي" فمن خلال التفكير الصارم فيما يتعلق بالحياة التي حفرت الطرف المعاكس للحياة الحقيقية ودفنتها يمكن للمرء أن يقول بشكل قاطع أن مفهوم إعادة التأهيل قد أدى إلى أبعد حالة إلى الاغتراب ولكن في الوقت نفسه هذا الاغتراب هو اغتراب الاجتماعي أكثر تطرفا . إن مفهوم إعادة التشكيل يعيد بشكل غير متوقع أن يتحول من مجال الأخلاق لأنه من ناحية أخرى يمكنني من خلال عملي الخاص أن أدع حياتي تصبح "شيئا" وهذا من خلال السماح لها باحتكار الأشياء واستعمالها وهنا مرة أخرى تربط إعادة التشكيل بين الأخلاق والسياسة على ما يبدو في أماكن بعيدة، ولكن بدل الانتقال من السياسة إلى الأخلاق كما فعلت النزعة الإنسانية، لأنها تعطي الفرصة لإعادة التفكير في الأخلاق من خلال التشكيل لمفاهيم السياسة، لأن من استسلم للرغبة في التملك تملك الرغبة في الأشياء، وهؤلاء يقولون أنهم يمتلكونها في المقابل، إنهم يعانون وبشكل سلبي و يعيشون فقط في انسجام تام ويسمح لحياتهم أن تختزل في بيئتهم، و هي لا تزال تحت أفق منخفض ومثقلة بتعلقهم، أسمح لنفسي أن تختزل الأشياء في حالتها الخاملة من الحياة المفقودة تحت تأثير القرارات الخارجية فيبرز مفهوم إعادة التشكيل في الحياة التي يقال أنها داخلية، وعندما تخضع لمجموعة من الأشياء أو من الاغتراب الاقتصادي، أو من التجريد القصري الذي يعترف بالاستقامة السابقة كشرط ويربط تحت الأرض (تحت أنقاض العقيدة الماركسية بالاستسلام) .

هذه المفاهيم القريبة من حلقة مربعها المأساوي، إنها تتشكل مثل جولة مروعة تجلب الحياة إلى القبر لكنه في الوقت نفسه تسمح بالظهور فيما بينها في الحياة الحقيقية لأنه من الواضح أن يكون هناك تعريف إيجابي ممكن للحياة الواقعية أو أنها ستكون مؤلمة، لأنه علينا أن نمنحها جوهرا مرة أخرى وأن نجعلها تصب في إيجابية حتى مع التظاهر بالمطلق، وبالتالي العودة بشكل غير واضح إلى الميتافيزيقيا لحجز نسخة أخرى مثل التكرار في "الجنة" ضد القبول الذي يسهل التعرف عليه، لأن الحياة خيبة أمل تدعو إلى إزالة تزامن الحياة المثبتة بالفعل في كفايتها والتي وصلت إلى الجمود، وأن إزالة الاغتراب يدعو إلى التمرد ضد حقيقة أن الحياة قد صارت نفسها دون أن تكون قادرة على أن تجد نفسها في الخارج أو تلتقي هناك أيضا، هذا الانحراف يدعو إلى الرفض الذي يسمح لنفسه بأن يختزل حالته و بعبارة أخرى في غضبه المضاد و أن يسمح بأن تستحوذ نفسه على الأشياء وأن يستوعب حبسها، هذه المفاهيم الأربعة تنزع الغطاء معا تحت ما يتداخل فيها وتعيد الحياة وتعززها وهذه المقاومة نفسها ليست من الناحية الأنطولوجية .ولكن ما الذي يجعل بشكل كبير الحياة حقيقية ؟ كيف يمكننا أن نأمل إذن في هذه الحياة وفي هذه النقطة الأكثر تطرفا والأكثر يأسا من اللاحياة؟ هذا الحجاب عن الموت الذي يغطي الحياة لا يعني أن حقيقة الحياة أو صورتها المثالية "تكشف ما وراءها" ولكن لأنهم من أجل كسرها في كل مرة أبدأ في تمزيقها وأخرج من خلال القيام بذلك بعناد من الحياة التي أعيشها.

6- إن إنقاد الفكر أو بالأحرى تنشيطه يمكن للمصطلح الثاني

المطروح هنا أن يصحح الآخر قليلا، وسينتهي بنا الأمر إلى الرغبة في الاحتفال بالحياة، وإذا أراد المرء أن يصبر العاطفة في دلالتها بدلا من التمسك باضطرابها الواضح، سوف يوافق بعد ذلك على إدراك مثل هذا المعنى كما يقول آرتر، و هو فهم العالم بشكل مختلف ومن جانب جديد، وهذا عندما يتم حظر المسارات التي تتبعها (في رسم نظرية العواقب) بتعبير أدق، فإن وظيفة العاطفة هي إبراز علاقة الأشياء بالإمكانات وأيضا العمليات الحتمية التي تنظمها وتوجهها، ويمكن أن نطرح السؤال التالي : ألم يقلص هذا الواقع ؟ ألم يعد الوعي مقتصرا على إسقاط المعاني العاطفية؟

يعيش العالم الجديد ويلمح الواقع كما يقول سارتر في هذا الفيضان الذي يروج له والذي لا يتردد في تسميته "مطلقا" ولكن لماذا يجب علينا بعد ذلك أن نحدد هذا التأثير التحويلي الذي تثيره العاطفة ؟ فقد تم إغفال الدعوة الوجودية للعاطفة وإجبارها على العودة إلى نظام العقل، ثم إعادة الاقتران بالقضية، أي العقلانية ونقيضها.

7- إذا كان المقصود بالعاطفة هو التقليل من قدر الحياة وإخراجها من حالة "الشيء" فماهي المساعدة التي تكون عليها ؟ وبما أن المبدأ من العاطفة هو خارجي، فإني أستطيع أن أنتج عاطفة، فهي تولد في الداخل كما أكد ذلك سارتر سواء كانت سعيدة أو غير سعيدة، فهل لا يزال "العالم" يزودنا بالعاطفة كما يقولون في الماء أو الفحم ؟ سؤال يعيدنا إلى ما يجب أن يعاني منه اليوم بطريقة غير مسبوقة في نفس الوقت، من الاغتراب والوجودية والسياسية، فأصبح مفهوم الحياة الحقيقية جدليا من الناحية القانونية فأصبح مفهوم الحياة الحقيقية

جدليا لأنه لم يعد علي أن أتوقع مثل هذه العاطفة المثمرة، "ميلانو في سنة 1796"، هذا المشهد (ستاندالي) لم يعد موجودا، فهل العاطفة كقوة تقدمية للتاريخ مدفونة إلى الأبد؟ ألم يصبح من خلال الهستيرية الاعلامية خدعة منظمة ؟ لذلك فإن إحدى كوارث عصرنا هي أنها لم تعد تقدم لنا العاطفة، والأكثر كارثي هو المشهد الذي تهجر فيه الحياة، لقد تم تطهير عالمه كثيرا، فهل لاتزال العاطفة ممكنة في الواقع، حيث أن كل شيء وحتى الغير المتوقع مضمون بالفعل ومختوم أيضا، هل لا تزال هناك أية فرصة للرموز التعبيرية في الحياة ،حيث أن المجتمع قد قيد بالفعل، تحت تسليع معمم وتحت إسقاط عقلاني متكامل، فكل شيء من شأنه أن يبدو قليلا مثل الغير قابل للاختزال؟

إن المؤسسة "السمعية البصرية" من خلال تنظيم ما من شأنه أن يشير إلى العاطفة في الوصلات يجعلنا جميعا أكثر متلصصين، لكننا لم نعد نتحرك، إنها تحاكي وتحفز عاطفة زائفة في صورة الحياة الضائعة، فحتى الابتذال الذي نراه ينتشر على شاشة التلفزيون ليس إلا وسيلة مقيدة لالتقاط الكسل "التملط القاعدي" وبقدر ما هو وسيلة ماكرة لإعطاء التغيير وإخفاء ما يحافظ عليه تحت ما يسمى بالحياة الضائعة والمضحكة. تقوم وسائل الإعلام بعمل التركيب أو (مونتاج) لالتقاط الجمهور، مما يضيعه على الفور، فهل يمكننا حتى إخفاء حقيقة أن هذه نعمة بالنسبة لهم؟ وفي فهذا "البرنامج الخاص" لم تعد المعلومات صعبة الوصول، بقدر ما هي دراماتيكية من خلال لعب دور لا لزوم له، من عاطفة حية سرعان ما صنعوا بعد ذلك عاطفة مزيفة، في حين أن العاطفة في الواقع الأقل احتمالا للحقيقة، هنا يتم

التعامل معها أيضا في وضع إعلاني عن طريق الطرق وعن طريق إعادة التدوير والعودة إلى الحلقة الأولى، وتأتي المحاكاة الساخرة على أهمية الحدث في وسائل الإعلام الذي هو سيد اللعبة، إن وسائل الإعلام في الواقع وفي مجتمعاتنا هي القوة الأولى إلى حد بعيد من خلال إنشاء محاكاة بطريقة كبيرة أصبحت هي المعتمدة للاغتراب الاجتماعي الذي يعيد إحياء الحياة، ومن هنا فإن قوة العاطفة المناسبة للحدث هي إعادة خيانتها، والهروب من حياة "الروح" كما يقول هيغل في المجتمع الذي يفصل دائما.

فهل تنتمي العاطفة إلى الحياة التي تحرر القيود التنظيمية فقط من "الخاص" بالمعنى الخاص في الأصل، أي الحرمان من المشاركة في شيوع العالم كما أشارت هانا أرندت ؟ ولا يمكن للجميع محاولة إنقاذ أنفسهم من اللاحياة الجماعية فقط من خلال التحول لما يعيشه من حميمية ؟ أم أنه سيكون علينا إذا أن نغرق في التخلي؟ فالعاطفة تبقى محصورة في قفص الاتهام، فإذا كان المرء يعرف كيف يسيل القلوب في علاقته مع الآخر فإن العاطفة هي المستمدة من الحميمي اللانهائي، وإلا ألن تكون استراتيجية الحياة الوحيدة والمتبقية هي في الأساس الأخلاق الوحيدة وهي أيضا محاولة لوضع الذات في موقف موضوعي؟.

يتطلب "العالم" استخدام الفن وربما هو الاستخدام الوحيد المتبقي له والذي يعوض عن الفراغ أو بالأحرى حياة المضطربين، فلا يستحق الكثير مما يمكن تسميته تطهيرا أخلاقيا، أو يجعل الالتزام الاجتماعي يستحق أن يعطيه الحياة أولا مهما كان مصطنعا، لنفرض

أن قوة الفن هي أن تكون قادرا على إثارة العاطفة التي ليست مصطنعة ولكنها الأكثر حيوية، فوساطة الفن هي إنتاج هذه العاطفة الفورية، وهكذا فإن الموسيقى الإيطالية على عكس الفرنسيين (استندان وروسو) وبالعودة إلى المتحف لرؤية لوحة (بلا) سنقف على شيء ما يحركنا.

ولأننا نذهب إلى المتحف نعود ليس من أجل متعته الجميلة بقدر ما نقف على شيء يسهل تقدمنا، فهل العاطفة ستكون في المرة الأولى فقط؟ فهل ستكون قوة العجز التي تجعلنا نرى حياة أخرى ممكنة مجرد مفاجأة ؟ فإذا كانت العاطفة تأتي من العالم في كل مرة ألسنا نحن من نكتشف تدريجيا من خلال فجوة الحياة المفتوحة قدرتها على إزالة هذا الغطاء عن طريق هذه الفجوة المفتوحة فيها ؟ لذلك لا يمكن للمرء أن يحاول كثيرا إذا أرادت عواطفه السيطرة عليه كما يقصد تقليديا "أطاريكس" ولكن ربما في الاتجاه المعاكس أي والأكثر بلا حدود إثارتنا وهذا التحريف في حياتنا يجعلنا نرى المشكلة الموحدة لتجربة "هارت"، مما يمنعنا من سماع ما لم يسمع به . ألا يمكن أن تكون هناك ثقافة عاطفية حتى لو بدت المصطلحات متناقضة من البداية(استندان مرة أخرى) و ربما يكون هذا هو (فن العيش) الحقيقي إذا كانت هذه هي الصيغة المنطقية لأنه في بحثنا عن الحياة الحقيقية يمكننا تميز الأفضل فالأفضل و المضي قدما في الحياة بطريقة سنقول بعد ذلك أنها استراتيجية، فكيف يمكننا الاستمرار في العيش وليس كما يقال في الحكمة استحالة " تعلم العيش".

(VI)

حاول أن تعيش

1- لا يمكن للمرء أن يتعلم ما يجب تعلمه أكثر من أي شيء آخر: ولا يمكنه أن "يتعلم كيف يعيش". يمكن أن نتعلم كل شيء ربما باستثناء العيش، أو لنفترض أن التعلم لا يزال في وضع غريب مع هذا "العيش"، لأن في الأصل هناك غياب التطابق في رؤيتنا كيف نصحح هذا العيش من خلال تجاوزه. لأنه إذا كان المرء يستطيع أن يتعلم كيف يعيش، فماذا سيتعلم ؟.

على الأقل إذا لم يتم اختزال "ماذا" في أخلاق الامتثال، فبصوت التوبيخ، يجب تعليمه كيف يعيش. هل يمكن أن يكون في الحقيقة كما في السابق "دروس في الأشياء"، أو ما يسمى أحيانا دروس في الحياة ؟. يقال إنه بعد الفشل يجب أن نتعلم الدرس... لكن الدرس لا يمكن أن يكون دقيقا، ويبقى جزءا لا يتجزأ من أحداثه، فإلى أي نقطة يمكن أن نتعلمه ؟ وهل يمكن – لهذه النقطة- أن تنسجم بالفعل مع إطار الحياة المقبلة وتوجيهها والتأثير فيها ؟ لأن أعماق النسيان لا يمكن أن تجلب التحديد للحياة، مثل الدرس تحديدا، أو إذا كان المرء لا يستطيع معرفة كيف يعيش، فيجب أن يتعلم على الأقل كيف يموت. يكرر مع فَعَلَهُ أفلاطون برفع صوته وهو يخفض ذراعيه للفلسفة، لكن هل

هناك ما يعني كيف يموت كدرس مستقل أم ماذا ؟ باستثناء الاستسلام؟ لقد اعتدنا بشكل تدريجي وبشكل ضمني من خلال وضع الموت جانبا أننا نعيد التعليق عليه، حتى لو كان ذلك من أنفسنا ولأنفسنا فقط (وهذا موت بليغ). "إنها الحياة الخاضعة التي لا نناقشها"، لأننا نستطيع أن نفهم كيف أن الموت جزء لا يتجزأ من الحياة، وأنه مرتبط بالحياة من خلال معارضته لها، فهو في خدمة الإخفاء العظيم لسرير الديمومة. ولكن إلى أي حد يمكن للمرء تثقيف نفسه من أجل هذا ؟. هل يمكن للمرء أن يسمح لنفسه الاقتناع بهذه الحقيقية التي يعرفها بنفسه ؟ يقول دريدا في نصه الأخير: بدون شك لتجنب الإنكار، ولتعلم العيش في الأخير: أنا أؤمن بهذه الحقيقة دون أن أستسلم لها بشكل أقل. لم أتعلم قبول الموت.

إذا كان للتعلم تأثير قليل جدا على الحياة، فمن المؤكد أنه لا يوجد شيء للتعلم، على الرغم من كل روايات التعلم الموجودة في الحياة. دائما ما تكون روايات التعلم تلك عبارة عن إعادة بناء فقط لعد الحقيقة، بعد انقضاء الحياة حقا، عندما نقوم بتقييمها ونعيد إحياءها في الذاكرة. ولكن بأي طريقة سنقول أنها معجزة، ويمكن لهذا الاسترجاع أن يتحول ويعيد تشكيل نفسه – إلى قدرة مستقبلية؟ إذا كان التعلم لديه القليل من السيطرة على الحياة، فذلك راجع إلى كون الحياة غير قابلة للتطبيق. فلا يمكن التساهل مع علاقة النظري | التطبيقي، لأن الحياة ليست مسألة تحضير، ولا يمكن للمرء بأي شكل من الأشكال أن يهيئ نفسه للعيش، لأنه في هذه الحياة يجد نفسه دائما ملتزما: فهو بدأ يعيش قبل أن يفكر في ذلك. ولأننا ليس لدينا حياة

بعد فوات الأوان. لكن من غير المعقول أن نعتقد أنه يمكن للمرء أن يتعلم أولا ثم يعيش، ولو حتى استطاع فعل ذلك بقليل، فإن الانتكاسة هي بنيوية <<الوقت يعلم كيف نعيش >>، الوقت يعلم كيف تعيش من خلال التجارب المتقطعة، من خلال السلبية التي نواجهها – بعد فوات الأوان- ونستمتع بها.

فإذا أصبح هذا القول مأثورا، فلأنه يصوغ ذلك الاختلاف الزمني الذي لا يمكن اختزاله. بحيث إذا كان هناك أي تعلم من الحياة، فلا يمكن الاستدلال عليه، بل يمكن الاشارة إليه بطريقة غير مباشرة، ولا يمكن الاستدلال عليه أيضا لأنه ينطلق من نفسه. (يشارك المرء كثيرا في هذه الاستمرارية من أجل العيش). بل مما يراه الآخر بعيدا عن نفسه، فهو لا يرى تلك الانطلاقة من الحياة، ولكن يراها من الموت الذي يتم تحديده انطلاقا من الحياة، أي من خلال تمديد ظلها تدريجيا، فينتج هذا من خلال صراع بسيط وتضاربات ينشأ عنها الوضوح بدلا من التعليم. لدرجة أن نعيش أو نبدأ في الحياة بشكل فعلي. سيكون علينا أن نبدأ بإلغاء فهم ما يعتقد المرء أنه تعلمه من الحياة، والتي كانت في الأصل مجرد حياة مزيفة. "لأنها لا تكفي للتخلص من السذاجة والخضوع. فأنت إذن تسمح لنفسك بالتدخل في نفسك". (في أعمدة الزاوية لهنري ميشو .

لا يمكننا أن نخفي مرة أخرى وبشكل واضح الطبيعة المتناقضة، لأن ذلك يعني رفض المصادفة. العيش هو الانغماس بشكل ضروري وأكثر في التفرد المطلق والدائم لهذا الفعل (الانغماس)، وذلك لفصله عن منطق الملاءمة الذي فرض نفسه علينا في أوروبا. هذا باستثناء المفارقة والتناقض. وبالتالي، لم يعد من الضروري التخلي عن المنطق

وعن التحول بشكل كلي من أجل اختراق ما قد يكون غير مقبول – التغلب على تناقضاته-. التحول الميتافيزيقي أو الديني، إلى مطلق الوجود أو إلى الإله. خطب أفلاطون من قبل، هو الذي أراد إنقاذ العيش من "السخرية"، لكن العيش في حد ذاته أمر متناقض. لذلك فهو تهرب من المبدأ ومن منطق الكينونة والذاتية أو المنشأ. حياتي هي الأنسب لي، في الواقع، في الوقت نفسه يمكن أن أحرم منها في أي لحظة. أختبر ذلك في نفسي باعتباره (العيش) الجزء الأكثر حميمية في نفسي، إنه أكثر ما يخصني، وحتى ما يمكن أن يخصني بشكل مفرد، ومع ذلك، ففي الوقت نفسه قد لا يخصني. ومن هنا تم الاستشهاد "بالإعارة" الشهيرة للتسوية: "إذا منحني الإله الحياة...".

قبل كل شيء، العيش في داخلي هو شرط لكل الظروف، المنبع، وحتى هذا المنبع من أي منبع، وبدون هذه الظروف يمكن الرجوع إلى هذا المنبع. ومع ذلك، ففي الوقت نفسه، هذا العيش هو تطلعات لكل تطلعاتي، ولا يوجد ما هو أبعد من ذلك: لا أستطيع أن أرغب، يمكنني فقط أن أحلم بالعيش على الرغم مما وهبتني الحياة إياه. العيش هو المصدر الوحيد الذي يمكن للمرء أن يستدعيه، والأفق الذي يمكن للمرء أن يتخيله. يمكنني فقط الاستفادة من هذه القدرة على العيش الموجودة بداخلي، ولكن للوصول إلى هذه القدرة نفسها؛ العيش في النهاية ...

2- للتساؤل بطريقة أكثر دقة عن معنى العيش في الأساس المعجمي نرى أن هذا الفعل ينتقل في الواقع بين المعنى الأولي (أن تكون على قيد الحياة)، وما وراء معانيه المختلفة. ومعنى مفتوح وشاسع، غير مفسر في معجم روبير Robert، "لإدراك كل

إمكانيات الحياة". في هيجو: الذين يعيشون هم الذين يقاتلون". لكن من المدهش أن هذا المعنى الأخير ظل غامضا. الآن، أليس هذا من بين استخداماته المتاحة سيكون حاسما من بين كل المعاني التي يمكن تصورها ؟، وحتى من كل الأفعال التي يمكن تصورها. واحد يجب التفكير فيه بصرامة، وهو أن المعاجم الفلسفية ليس لها مدخل في "العيش". ما هذا العرض ؟ لأن هذه الفجوة يجب اكتشافها أكثر من أي شيء آخر، وبمعناها الأدنى المشروط، من العيش إلى العيش بمعناه الأمثل. أن يعزز نفسه كمفهوم. ولكن هل هو كذلك في حد ذاته ؟ الحياة. لأن في هذه الفجوة يتم الاحتفاظ بكل الفرضيات وكل الآمال بشكل واضح (الكانطي الشهي، ما الذي لي فيه الحق أن آمله ؟. لكنه تحرر من أساس الميتافيزيقا).

المعنى الأول هو معنى الحياة بالمعنى الضيق، والثاني للحياة بالمعنى الواسع الحي. نجد نقطة الانطلاق من اليونانية. فلا ينبغي أن يكون الأمر مفاجئا، لأن المتدين هو الذي يعتقد لحد الآن ويفكر أنه يعيش. المعنى الأول ل "على قيد الحياة" له نقيضه، كما نعرف "الموت"، ولكن ماذا سيكون عكس الحياة ؟ هذا عكس الكائن الحي، والذي لا يمكن أن يكون بوفرة كما قال جان، هو ما سيطلق عليه ب "اللاحياة". بينما يتبع الموت حياة الكائن الحي من خلال إكمالها، فإن اللاحياة هي موت باطني للأحياء، وهذا يعني أنه على الرغم من أن المرء على قيد الحياة، إلا أنه يعيش حقا؛ أي أننا في مظهر من مظاهر الحياة.

ومع ذلك، هناك اختلاف في مفهوم الحياة والعيش. الحياة (مثل اسم) تسمح بوضع نفسها على مسافة من خلال التفكير، فهي تسمح

لنفسها بالتجريد والنقل، وتسمح لنفسها بفسح المجال للحس المجازي: الحياة الأدبية، حياة الأفكار، حياة النجوم...ولكن الحياة (كلفظ) فليس لدينا مظهر خارجي وارد لاستخدامه المطلق.

الآن وفي الحياة الحقيقية، هنا يتم استيعاب الحياة داخل العيش. إنه واقع الحياة الحقيقية لرفعه. الحياة الحقيقية بعبارة أخرى هي "العيش". الحياة تعادل بشكل تام العيش عندما تكون حقيقية وتعني ما تدور حوله. ومثلها هو الموت، الذي بمعارضته تبرز الحياة بالمعنى الأساس للوجود والمعنى الأولي ل "قيد الحياة" (كما يقول دائما هوراس في أومبراموريتس). إنه بالمثل. اللاحياة مظهر من الحياة، يبرز في ما يمكن أن تكون عليه الحياة الحقيقية. ولكن، كيف ستكون الحياة الحقيقية؟ هذا المفهوم الحاسم الذي يمكن للإنسان أن يفكر من خلاله. ليس في علاقته بالأخلاق، لكن بأخلاق الوجود بما أن الحياة حقيقية. فعلى هذا النحو ليس لها جوهر، ولا تحتوي على مضمون حقيقي: (ما هي الكفاية التي يمكن أن تعتمد عليها، أو ما هو الوحي الذي يمكن أن تسمح لنفسها به؟)، فهي سلبية من خلال مقوماتها للاحياة – الوهمية – الحياة التي تسمح فيها لنفسها بالاستسلام أو السقوط أو الاغتراب أو النفور، أو تجسيد الحياة أيضا – هكذا هو تعريف الحياة الحقيقية -. فبأي طريقة يبدو لي مفهوم الحياة الحقيقية أكثر واقعية من مفهوم الحياة التي "يستحقها الشخص" أو "يستحق العيش". مينشن Menchn أو لوبينز lebens أو ووردينغ wurdig . الذي ما زلنا نجده مستحضرا لقيمته الهامة. حتى في أدورنو Adorno ودريدا Derrida، لأن هذا الاستحقاق يستند دائما إلى التقييم، فلا

يمكن تحديد أي معيار أو تحديد أصله، في حين أن مفهوم الحياة يحتوي على ما يكفي داخل نفسه – في صرامته الداخلية، أو بالأحرى نفي النفي، الحياة الحقيقية باعتبارها نفيا للاحياة -. تناسقها وتسويغها، ومنه تستمد شرعيتها من حيث المبدأ.

العيش أولا وقبل كل شيء، لا يتوقف على مجابهة ما يتدخل باستمرار، حتى في الأصل مع اللاحياة أيضا، فلا يمنع الحياة ولا يضايقها، فالعيش يحكم الحياة الوهمية، لأنه يريد إدراك ما يسمع به من الحياة الحقيقية، فيجب على المرء أن يبدأ تفكيك الأطر المشكلة والمماثلة، حيث يكون كل شيء مسموعا بالفعل، "هذه الحياة"...لا يمكن للمرء أن يعرف بشكل إيجابي كيف يعيش. التعلم الفوري هو جزء من المقولات المحددة. ويقع ضمن المقولات المعروفة بالفعل. إن "محاولة العيش" ومواجهة ذلك ستكون أكثر إنصافا. فالمحاولة في الواقع هي اقتحام. المحاولة هي محاولة في مواجهة صعوبة محددة لإيجاد مخرج معين. وهذا تناقض كبير. إن المحاولة تدرك في البداية أن الصعوبة التي نواجهها ليست ثانوية ولا مجتزئة – كما هو الحال عندما نتعلم كيف نعيش فهو تعلم لكيف نعيش فقط- هنا يتم التعرف على الصعوبة بأنها جوهرية في الحياة نفسها: لأن العيش متناقض كما هو، ولابد أن يناقض نفسه، وأن يقلب نفسه إلى اللاحياة، أو يظهر كظهور الحياة أو الحياة الوهمية. ومن ثم فإن المحاولة هي استراتيجية. الاستراتيجية الأخلاقية – وليست الأخلاق-. فيجب على المرء أن يقلل كما يقلل من الخصوم. فاللاحياة هي تزوير للحياة. كذلك، عندما يختتم فاليري أطول قصيدة له بالتأمل في الحياة على - الريح

تتصاعد-...يجب أن نحاول العيش، فهو السبيل الوحيد المتبقي. لكن، هل لا يزال بإمكاننا التوقف عند هذا الحد ؟ هل يجب هذا بالطبع – ليس توجيهيا ولا أخلاقيا – فهو في الأكثر تحريض وتضرع ودعوة في الوقت نفسه. ومع ذلك، فإن هذه النهاية من "المقبرة البحرية" التي أحببنا جميعا إلقاءها كل يوم، والتي حملناها على حالها بقوة، لم تكن رضاءً بالكامل، ويشتبه فيها على أنها تحتوي على تناقض سهل، من حيث أنه بمثابة أمر مألوف لا يعكس نفسه.

الريح تتصاعد..... عليك أن تحاول أن تعيش

الهواء الهائل يفتح ويغلق كتابي

تتجرأ موجة المسحوق على الانطلاق من الصخور

إن فاليري Valéry هنا، ليس فقط أنه استسلم للتعويذة الغنائية، كما هو الحال في كثير من الأعمال الفرنسية بمجرد أن يتطرق المرء إلى "العيش" (الألمانية في سياق عدم الفصل بين الحياة والعيش، الفيلسوف لوبينز "لا يمكنه تجنبه")، لكن قبل كل شيء لا يمكننا التوقف عند هذا العداء بين جنة الحياة وعقم الفكر مهما كان الوازن جيدا – ربما يكونا متوازنين جدا – لأنه يجب علينا أن نعيد مرة أخرى التناقض بين فيروسات الروح القائمة والصحة الجسدية، والعودة حتى لو كانت تحت ضوء الفكر اليوناني، في الكليشية الرومانسية للتواصل مع الطبيعة، أو تخيل استخلاص قوة العيش من العناصر : الريح – البحر – بحر هذيان الموهوبين العظيم...ما الذي تخبئه هذه الكليشية ؟ هذا هو المظهر الذي ندعي إعادة الاتصال فيه بالحديث. دعنا نذهب إلى الموجة لننتج محاولة للعيش. هل هذا الكائن الحي ليس

محاصرا هنا، بطريقة تريد بالتأكيد أن تكون ساذجة. تلك الأحلام تعيد اكتشاف البراءة بالمعنى الوحيد للحيوية التي تقلل بشكل غير ملائم للتساؤل: ما هو العيش ؟ هنا يجب أن يظل العيش خارجيا عن العنصر الآخر (الحياة)، الحياة مثل التفكير. فهل الحياة الحقيقية والفكر الحقيقي متعارضان، إن لم يكونا بطريقة مصطنعة ؟ ألا يفضلا أن يجتمعا في المطلب نفسه وفي نفي النفي نفسه بمقاومة كل من اللاحياة واللافكر ؟.

3- العيش/ التفكير: هل يجب وضع هذين الفعلين دائما في نقيض درامي ؟ صحيح أن الحياة تنتمي إلى المباشر كما تنتمي إلى العفوية، هذا ما أعرفه وأعتقده، والذي أجد نفسي دائما ملتزما به حقا، هذا هو السبب في فكرتي أن "العيش" لديه القليل من السيطرة" العيش بعيد عن الفكر، ومع ذلك، فإن التفكير من جانبه يفرض الزهد والانسحاب. التفكير هو الشروع في التجريد، وبالتالي الانطاق من العيش هو الشروع في طريق الوساطة التي لا تنتهي أبدا، في منعطف من التأمل. فلا نرى كيف يمكن أن ننتهي يوما ما وألا يجب علينا أن ننزع أنفسنا بعيدين عن هذا البحر اللامع. أمام أعيننا من هذا الإشعاع الشمسي ونفصله عنه لنبدأ في التفكير ؟ العلاقة ستكون إقصائية أو لها علاقة بالتناوب: أحيانا أفكر وأحيانا أعيش...أحيانا أفكر وأحيانا أنا كذلك كما يقول فاليري وهو يعود إلى الكوجيكو: لم يتمكن المرء من محاولة العيش إلا عن طريق القطع المفاجئ مع الطريق المسدود للفكر وجعل الأخير قرارا، وكسرا جسديا لهذا الشكل المتأمل: << اشرب يا صدري ولادة الريح >>، سيتعين عليك أن تبدأ

إغلاق الكتاب – التفاتة فاوستية إن وجدت – لبدء الحياة. لكن، أليست هذه المعارضة مسرحية بالفعل لدرجة يصعب تصديقها ؟ ألا يمكن أن يتفقا هذان الفعلان في نقطة أكثر سرية ويتعاونان في مكان أكثر تفاعلية للعيش والتفكير. هل يمكن أن يلتقيا بالفعل ؟ فلا يمكن أن نخفي بحال من الأحوال مدى أهمية السؤال، فالطريقة التي تجيب بها تعتمد على المصلحة الموجودة في الفلسفة أولا.

هناك شيء واحد مؤكد على الأقل، وهو أنه منذ ديكارت «أنا أفكر»، يمكن كتابة هذين الفعلين: التفكير والعيش بالتوازي. فالتفكير أصبح مطلقا مثل العيش في وحدته الجوهرية، وإغلاقه على نفسه حتى لا يضاهيه: سنكون قادرين الآن على قول : «أنا أفكر» كما قلنا بشكل ذائع من قبل: «أنا أعيش». من خلال القطع مع آنية العيش. إن لحظة القطع في الكوجيطو تعزز التفكير في العقل الخالص، تعزز التفكير في الفعل المتميز العام. وفي الفعل الأكثر انفصالا عن جميع العلاقات الأكثر تجريدا، وإعادة استيعاب أي اختلاف هو محتمل في طرائقه اللحظية (ما وراء التنافس القديم بين نوين Noein و فرونين Phronein و بين الكوجيطو و بوتار Putare.

في أقصى نقطة من الكوجيطو أصبح التفكير عديم الجودة امتدادا لفزياء غاليلي Galilée. ولكن ما الذي يتم الترويج له بشكل عام؟ وما الذي يجب التفكير فيه ؟ التفكير في ذاته هو سحب ما يجب التفكير فيه في ما لا يعتقد: الدخول في التمرد – ممارسة قوة النفي – ضد اللاتفكير، أو كما يقول أدورنو adorno عند الأخذ بفكرة توجيهية عن هيغل: إن نشاط التفكير هو المقاومة – المقاومة ضد ما يفرض عليه –، سيكون من الضروري فهم هذه المقاومة فما تشكله قوة النفي. ومن

ثم إذا كان التفكير هو معارضة من خلال عمل الفكر – سواء أكان معطى أم معبرا – سواء أكان ذلك هو اللاتفكير في وجود العالم أو الرأي الذي تم تشكيله بالفعل. ينظم التفكير من الداخل مفهوم العيش في نقيضه مع اللاحياة. والأمر نفسه في رفض اللاتفكير المؤدي إلى التفكير، واللاحياة المؤدية إلى العيش.

إن التفكير هو مقاومة اللاتفكير في الفكر، كما أن العيش هو مقاومة اللاحياة في الحياة. أليس هذا أكثر وضوحا اليوم ؟ عندما يتعرض الاثنان للنقد العلني: من خلال الحياة الوهمية كما هو الحال في الفكر الوهمي. ينغمس المرء في اللاتفكير كما ينغمس في اللاحياة؛ يسمح المرء لنفسه بالغوص في التفكير الوهمي مثلما في الحياة الوهمية، فالحياة معروضة أكثر فأكثر اليوم – مكشوفة وخاضعة – للاعتراض الناتج عن الاستهلاك، كذلك، فإن التفكير يخضع أكثر فأكثر لتأثير ما يجب أن نطلق عليه <<الفكر السلعي>>. الفكر الذي أصبح فيه الفكر السلعي مستبعدا. تستحق الفكرة أقل درجة من "فكر"، لكنها أصبحت منتوجا تجاريا مثل أي منتوج آخر. هل يمكن أن يظل كتاب "الفكر" موجودا في هذا الاقتصاد ؟ لأنه يوجد الآن تسويق معروض للأفكار، مخصص للإعلان ويقاس بالتقويمات، وهو راضٍ على مظاهر التفكير مثل العيش في مظاهر الحياة. وهذا الإعجاب هنا هو اكثر من المقارنة. هناك بين العيش والتفكير ليست قرابة، ولكن هناك مصير واحد بينهما، فيصبح التفكير متحالفا مع الحياة؛ وسيكون من الضروري مقاومة الفكر الوهمي لمقاومة الحياة الوهمية. ومن ثم يساعد التفكير بشكل فعال على العيش سواء في تنويره أو إدامته، وهو ما يبرر في النهاية وبشكل أساس دعوة الفلسفة ما لم تكن حاملة لسوق

الرأي بعيدا عن منطق الاتصال. فقد سقطت هي نفسها في الفلسفة الوهمية، مما يحكم علينا بالحياة الوهمية.

في الواقع، نحن نستسلم للفكر (حتى لا نفكر حقا)، لأننا نستسلم في الحياة (حتى لا نعيش حقا). يترك المرء فكره يغرق في عاداته وفي التفكير مثل الحياة والعادات الموجودة فيها. يسمح له هذا الفكر بالنفور من المعرفة الإيجابية، حيث يفقد قدرته الخاصة، بالإضافة إلى كونه غائصا في الدغمائية، حيث لم يعد يفكر وهو حي. هناك "خسارة" للفكر الحقيقي مثلما هناك خسارة في الحياة الحقيقية، والتفكير أيضا هو مواجهة مظاهر الإخفاء والتستر على الفكر، مثل العيش فهو صد المظهر الذي يغطي الحياة.

إذا كان الاثنان أكثر ارتباطا اليوم من الأمس، يجدان نفسيهما أكثر اتحادا، فذلك لأنه يتعين عليهما مواجهة نفس التحديات التي تتراكم، لأنه إلى جانب تسليع الفكر (أو الفن)، أصبح التفكير الآن مهددا بالتقنية الملائمة نفسها مثل الحياة منذ القرن الماضي.

إن فقدان الاهتمام بالفكر الذي نراه يزداد سوءا ووحشية في الوقت نفسه، فهو يتضمن في داخله ابتعادا عن الحياة، لذلك، نتساءل عن مظهر هذه الحياة الذي سيجعلنا نغوص فيها، نفس الكسل (التخلي) في الفكر والحياة، هل سنكتفي بالكتب التي تغطي طاولات المكتبات (سوق السعادة وأعياد الميلاد)، تماما كما تعلمنا أجهزة الكومبيوتر والروبوتات أن نعيش في الإنسان الآلي ؟ وفي مواجهة ما يجب التفكير فيه والعيش فيه بشكل مشترك – استراتيجي -، والانتماء إلى نفس الأخلاق من خلال عدم مقاومتها. وهذا هو السبب في أن المحاولة صالحة لكليهما: فيجب على المرء (في شعر فاليري) أن يحاول أن يعيش،

ويجب عليه أن يحاول التفكير في المحاولة المعتمدة اليائسة في الآن نفسه. فالفكر هو محاولة العيش في النهاية .

يجتمع العيش والتفكير معا في هذا الافتراض: كلاهما يحملنا إلى أقصى حد ممكن من عدم الرضا، فلا أحد منهما أُدرك أبدا، ولم يحدث أبدا، لأنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل التفكير كما لو أنه من الصعب العيش حقا. ينعكس هذا الأخير على التفكير ويعكس أحدهما الآخر، واحدا تلو الآخر في موضوع وهو الطموح اللامتناهي، لأن العيش والتفكير يتطلبان تجاوز الأطر المفروضة. الفكر مثل الحياة. من أجل الوصول إلى ما لم يسمع به من تلك اللمسة الحية والفكرية حقا. لاحظ هيدجر أنه بالرغم من كل ذلك، فإننا نفكر حقا لأننا نخلق مهنة الفيلسوف. كما أن كوننا على قيد الحياة، فلا يضمن بأي حال من الأحوال أننا أحياء حقا. إن "امتلاك القدرة على التفكير لا يضمن أننا قادرون على التفكير". إننا نفكر حقا. (في "كان هيست دينكن"). وهل بدأنا في التفكير أخيرا ؟ هل بدأنا أخيرا في العيش ؟. قال هايدغر: إن أكثر ما نفكر فيه هو ما لم نفكر فيه، وإن أكثر ما يقودنا إلى العيش هو ما لم نتمكن بعد من أن نعيشه، إلى حد أننا قادرون على العيش. لأنه إذا كان ما ينطبق على الفكر هو ما يجذبنا إلى التفكير، فإن الحياة هي كذلك، فبقدر ما يهرب منا فهو يبتعد عنا، وينطبق في انسحابه. هذا التفكير يجعلنا نفكر بشكل فعال، وبقدر ما هو غائب عن الحياة، فإن الحياة الحقيقية تدعو إلى العيش. فلا يقتصر الأمر على التفكير في "المساعدة" على العيش فحسب، بل إنه من خلال التفكير في جوهر التفكير، يمكننا التفكير في جوهر العيش.

4- يجب أن نعود إلى ما تعنيه كلمة "محاولة" بشكل صحيح:

محاولة العيش قريبة من محاولة التفكير. إن المحاولة (العيش أو التفكير) لا تعني المحاولة بطريقة مجردة ومنفصلة، إنها لا تعني بحال من الأحوال أخذ الظل، بل على العكس من ذلك، فهي الحصول على موطئ قدم في الملموس والغوص فيه. Tentare باللغة اللاتينية تعني أول من يتطرق إلى التجربة. قال بيد فلومين Pede Flumen: "أشعر بيدك لمعرفة ما إذا كنت تحترق". المحاولة هي الهجوم أيضا. هي قسم للاعتداء على مكان بأسطوله حسب Moenia، إنها فحص واختبار. اختبار Tentaui quid.

" حاولت أن أرى ما إذا كنت قادرا عليه"، لكن لابد أن المرء قد لمس أعماق الصعوبة في العيش وربما استحالته (مثل التفكير). بعد أن عانى من أكثر ما يهدد الحياة بقسوة ووحشية إذا صح القول. ابدأ أخيرا بالوصول إلى الحياة التي تعيشها، الحياة الحقيقية بعد المحنة. هذا "الواجب" هذه المرة لم يعد حلا أو نصيحة، لكنه يقول بشكل مؤكد أنه من حيث المبدأ كشرط أن نكون قد مررنا بكل "الوقت الضائع"، وأن نغرق في مخاض سدوم، وأن نعرف العار الذي لا يذكر، وأن نتحمله رغم بشاعته للوصول إلى الوقت المسترجع. يتحدث بروست Proust في هذا الافتراض عن السعادة والنعيم: "هذا هو تأثير هذه الكلمات المنقوشة في الاستخدام والتي تفرضها اللغة بشكل غير ملائم. لكنه بعد ذلك يتجاوزها منطقيا ليطلق على الحياة الحقيقية القضية الوحيدة الحاسمة، وما الذي يخلق الفجوة. هذه الحياة الحقيقية التي يقول : "إنها اكتشفت ووُضّحت". "الحياة الوحيدة كنتيجة"، ولكنها بالفعل فريسة لتداخل تلك الأحاسيس المجمدة التي تقنن التجربة وتمنع ما لم يسمح به من قبلنا، ولكن ما الذي يجب أن يختبره

المرء. في الحقيقة من المحزن الشديد، وخيبة الأمل أن لمحاولة الهجوم كحصن منيع لابد من البدء في اختراق ما قد يعتقده المرء من هذه الأحاسيس، على الرغم من أنه يثبت الأكاذيب كما يقول بروست، هل يتسبب في تفويت الحياة الحقيقية ؟.

من سلبيات الحياة، أنه لا يمكن للمرء أن يكتفي بفكرة معينة حقا، فمن الضروري لمسها بطريقة أو بأخرى كما نقول: نختبرها إذا أردنا البدء في تحرير الحياة مما تولده بنفسها. حتى الأسماء المستعارة أو المزيفة. ما هي الدراما التي يجب أن يعرفها المرء ضروريا. بطريقة هي الأكثر حميمية والأكثر تطرفا، من أجل التمكن من البحث عن الحياة والاقتراب من الحياة التي نعيشها ؟. فلا يمكن محاكاة هذا "النزول إلى الجحيم". (رامبو) من الضروري أن نعرف تجوال لندن: اليأس هو أن يرسو في "ميناء البؤس"، أن يعرف الخرق الفاسد. "الخبز المنقوع في المطر". السكر بطبيعة الحال وآلاف المعشوقات، حيث لا يمكن اكتشاف الحياة في النهاية. فلا يوجد هناك أي تصوير درامي لها، كما هو الحال في موسيه Musset ، لكن، هذا التدهور الذي لا تراجع فيه وتبديد الحياة يمكن أن يدين في المقابل للهجر والتجاهل اللذين تتعرض لهما الحياة عادة.

من الضروري أيضا إخفاء التخيلات السهلة، وتجارب الاستبصار الممنوحة على استعجال، وإغراء الحصول على المستحيل في وقت قريب جدا، والتخلي عن كل القوى الخارقة للطبيعة، التي يمكن للمرء أن يحلم بها، وأن يلمس ما يمكن أن تكون عليه الحياة وليس من أجل الحصول على بعض النهايات (الخلاص). لكن، لأن المحنة التي يتم اجتيازها تزيل الغموض، وتحرر من تزييف الحياة التي تحافظ

على سرية الروح. قال ماجوس أوملاك لنفسه: يجب إعادتها إلى الأرض كما يقول رامبو، وذلك لاحتضان الواقع القاسي. فالعناق هو العناق بإحكام مع كل كائن يجب أن يكون المرء قد مرّ بموسم في الجحيم، ليتمكن أخيرا من قول الإله للحياة الوهمية الماضية. أن يكون قادرا على ترك صرير الأسنان والحب الكاذب. وأخيرا القول: "النصر لي، لكي تكون قادرا على نبذ "الترانيم" التي لا تزال تعاويذ سحرية، والحفاظ على الخطوة المكتسبة، وهي البدء في امتلاك الحياة الحقيقية في الروح والجسد.

5- إذا كنت تحاول أن تلمس كما نقول: "تلمس قاع الهاوية"، فإن المحاولة لا يمكن أن تكون خيالية أو إسقاطية، أو مخططة أو محاكية فقط. فإلى أي نقطة يجب على المرء أن يلمس بشكل فعال سلبيات الحياة، لتغوص فيه، ولكسر الإيجابية السعيدة المطابقة للإيجابية المصطنعة التي تغطي الحياة ؟ وحتى ما نلاحظه في الوقت الحاضر وفي المجامع الاستهلاكية، وفي وسائل الإعلام والإعلام المستحوذ، كما يلفها بشكل أفضل في خندقة ما لم نعد نميزه بين ما هو حقيقي وما هو مصنوع. وهذا يعني تحريك صورة القبول التي يقال إنها طبيعية. وهي في الحقيقية عالقة في الحياة بسبب البقايا الاجتماعية للأخلاق، والتي يتم من خلالها طمأنة الحياة الوهمية وتعزيزها، مما يؤدي إلى عزل الحياة بشكل خطير وبشكل متزايد، ولكن كيف ؟ بالسعي إلى إبعاد نفسه عن الاغتراب، لا أن يغوص في اغتراب جديد يصعب على المرء أن يقيسه، لأننا نرى من أين الخطر، وبعد ذلك، لن يكون الثمن الذي يجب دفعه كبيرا في هذه المحنة، كما هو الحال في الخطر أن يصبح المرء أسيرا لهذه المحنة (وهو ما ندد به رامبو في كتابه Adieu بوضوح).

إذا كان من الضروري الابتعاد عن الحياة العادية لتجاوز الأطر المكونة من الحياة العادية نفسها، والموضوعة في وقائعها والغوص في مظهر من مظاهرها، فكيف تجعل هذا التحول وإلغاء الإطار ضروريا لمحاولة الانضمام إلى الحياة الحقيقية في ما لم يسمح به من قبل، من لا يستديره ؟ فليس بالوحدة فقط، بل بالانحراف وضياع الحياة، لأنه إذا كان من السهل إظهار هذه العادة من الوهلة الأولى، فلن تصبح محاولة الكسر جرأة لزعزعة الحياة الوهمية في شبقيتها وتواضعها في الانحراف؟ لأن الهوس أكثر من الحياة العادية. الحياة التي ابتعدنا عنها لتحرير أنفسنا منها ؟.

ويكمن الخطر في أن الخروج الذي تم تحقيقه بصعوبة بليغة من الحياة الطبيعة المرعبة في الانقلاب بعد ذلك إلى حالة شادة تؤدي في حد ذاتها إلى تجميد خصوصياتها وإلى الانحراف وإلى الرذيلة وإلى الهوس. هذا هو مصير انحراف النشاط الجنسي في ساد Sade: فضيلتهم التي كانت في البداية استكشافية، وسرعان ما تصيب الكدمات وتدمر الحياة بشكل قهري. نعتقد خطأ (ربما حتى ساد يعتقد ذلك) أن الشخصية الساديانية تحكمها دوافعه (التي لا يعرف كيف يسيطر عليها)..هذه هي المعرفة السيئة : فهو نفسه محكوم بالرغبة في المعرفة، لكنها فعالة، وبالتالي، فهذه المعرفة تمزق طبقة الأخلاق التي تغطيها من الأسفل (مثل الأطفال في مواجهة النشاط الجنسي الذي ندعي أننا نخفيه عنهم)، ومن هنا تأتي الحاجة إلى تجربة حقيقية؛ أي تجربة لم يتم تسجيلها وتمييزها بالفعل، ويتم تأطيرها وتوحيدها بالفعل، وبالتالي نفقد القدرة على التجربة. تجربة إلى أي حد يمكن

ذلك؟ الرغبة ليست مجرد رغبة في إرضاء القيادة بقدر ما هي رغبة لمن لا يسمح له به في الحياة: الرغبة في اختراق الأطر العادية المخيفة للحياة الوهمية، الرغبة في التجاوز، لكن هذا اللمس يبقى ضئيلا جدا. لم نعد نفعل شيئا اتجاهه من غير الطرق، ولا يسعنا إلا أن نكرر بطريقة مرضية ما لا يمكننا دفعه إلى أبعد من ذلك.

إذا كان من الضروري فتح هفوة مقابل الحياة العادية، أو الحياة المطابقة أو المعيارية أو الحياة المغطاة، من أجل محاولة الوصول إلى الحياة الحقيقية، فإننا نرى ما هو فعل التوازن الدقيق إذن، ونحن نمشي على حبل مشدود محكوم علينا بالفشل، أو أن التفكير الاستراتيجي مطلوب مرة أخرى كاستراتيجية انحراف –لتجنب السقوط إلى جانب أو آخر: إما العودة إلى مأزق الحياة العادية، في ظل الحياة المعتادة وفي ظل المسكن. مستشعرين خطر الشذوذ الذي يهدد الشذوذ نفسه، أو أن ينقلب دون احتمال العودة إلى مثل هذا الشذوذ ويفقد الأرضية هناك كما يقول رامبو، ويفقد موطئ قدمه هناك، ومن ثم يترك نفسه محاصرا في هذا الاضطراب الذي يفرض من الآن فصاعدا قيده على الانحراف. ومع ذلك، لا يمكننا أن نأمل إنقاذ أنفسنا في هذا الوسط ببعض الوسائل الذهبية التي من شأنها أن تعيدنا إلى خطاب الحكمة من خلال المحاولة عبثا، وتجنيب أحدهما عن الآخر، أو التفاوض لإيجاد حل وسط بينهما. لأنه إذا كانت محاولة تجاوز التدفق محدودة بحكمة أولا. ولأنها أعطت لنفسها قيودا منذ البداية، فلا يوجد تجاوز هناك، فهي لا تزال خيالية ومثيرة للرضا عن الذات، ولم يطرأ أي شيء بالفعل، ولم تحدث الهفوة، بل تظاهرنا فقط بالقدوم من مظاهر الحياة.

ولكن، إذا سمح هذا الفائض بدفع نفسه إلى العزلة في الرذيلة أو الهوس، فقد يصبح هذا الفائض عقيما، ويؤدي إلى احتكار جديد ويعود إلى التبعية، لذلك، من الضروري ان تحافظ الهفوة على نفسها كهفوة مع مراعاة ما ابتعدت عنه؛ أي الحفاظ على الحياة الأخرى التي تواجهها، الحياة التي لم تطرأ من أجل ألا تنحرف هذه الهفوة، وألا تقع في هفوة جديدة أو تثبيت، حيث تظل عامة، وتحافظ على قدرتها على الفصل، كما تحافظ على قدرتها في الاكتشاف.

6- إذا كانت محاولة العيش هي تجربة صعوبة العيش، ففكرة الجمع بينهما يصعب التغلب عليها، فمحاولة العيش في كلمة واحدة هي البقاء، يقال: البقاء على قيد الحياة هو حقيقة الحياة، ولكن، دون إثارة الشفقة على الذات، فهذه الكائنات الحية التي نحن عليها ما هي إلا كائنات تنجو بمعنى الكلمة، تستمر في التغلب على صعوبة الحفاظ على أنفسنا على قيد الحياة (مقاومة الموت)، وكذلك صعوبة البقاء على قيد الحياة بالفعل: مقاومة اللاحياة التي تضيع الحياة.

إن البقاء لا يقتصر على الحيوية، بل يمتد إلى ما هو وجودي ومقترن بشرط فردي وجماعي. يقول أدورنو: "ليس من الخطأ أن نسأل سؤالا إذا كان يمكن للمرء أن يعيش بعد أوشفيتز Auschwitz. لكن هذا الشرط لا يقتصر على المواقف التاريخية الأكثر تطرفا، والتي تكتشف على هذا النحو، وتلقي الضوء بشكل كبير على حقيقة الحياة التي يسعى المرء عادة إلى تقليلها - لتجاهلها – بقدر ما يستطيع احتواءها، لأن هذا الضوء هو يوم من أيام الحياة. لا نتوقف أبدا على محاولة الصعود حتى لا نغرق فيما لم يعد شيئا سوى الحياة الوهمية أو الحياة

المزيفة، لذلك نقول: "ابق رأسك بعيدا عن الماء. الصورة تافهة لأنه لا يمكن تجاوزها، فالبقاء الذي نعيش فيه ليس مجرد راحة أو تأخير ممنوح، وليس فقط تأجيل، بل البقاء على قيد الحياة أصلي ' مثل الجرح الأصلي – حيث تتعارض الحياة مع نفسها بشكل لا رجعة فيه أو لنقل أن الخلاص بعد الحياة. فلا يجب أن نرتدي ملابس دينية وأن نظهر في بعض الخيال، بل كان علينا دائما أن ننقذ أنفسنا من اللاحياة التي تمنعنا من أن نكون قادرين على العيش. لذلك، فإن الحياة الوهمية تتعارض مع الحياة الحقيقية ، فهي ترجع إلى ما لا نتوقف على إخفائه بشكل فعال، مع كل المحاولات التي ترغب في التعويض عن الحياة الواقعية. هذا الإنقاذ الذي يمكّن من البقاء على قيد الحياة . قلب الحياة – مبدأ الحياة. تعمل الحياة في المجتمع – من خلال امتثالها المفروض لترسيخ هذا المظهر الرسمي الوظيفي الذي يسمح بإخفاء حالة الناجي هذه- . التظاهر بأنه على قيد الحياة بالفعل، قبل أن يسقط الستار وحتى نظهر ككائنات حية ذات مصداقية. إنه لأمر مدهش، فكيف نتفق بشكل جماعي – ضمنيا- على التصرف كما لو أننا ما زلنا على قيد الحياة ولا نعيش. لتغطية كل بهرج ممكن لهذا الكسر الأصلي الذي يتعين علينا من خلاله إنقاذه حياة اللاحياة من الحياة. يقول رامبو في الدم الفاسد: " الحياة مهزلة يقوم بها الجميع".

هذا ليس مجرد ترفيه، بل تمويه، فلا يتعلق الأمر بإخفاء البؤس (من كتاب العظمة والبؤس لباسكال)، ولكن لإخفاء الحقيقة بسبب التواطؤ المطلوب، لأنه لا يوجد هنا البوس لإلهاء النفس كما يقول باسكال، حتى لا نضطر إلى التفكير في وضعنا الممثل في الموت عند

تأجيل التنفيذ. "الذين يذبحون بعضهم كل يوم على مرأى من الآخرين). إن الباقين ينتظرون دورا أو منعطفا. فكل شيء يتم حتى يكون لدينا ما يكفي لجعلنا نعتقد أن العيش سيكون ببساطة في متناولنا، أو أن الحياة يمكن ان تذهب دون أن تخبر، وهذا من خلال طريقة تنظيم إنكار البقاء الذي هو في صميم الحياة. يتم استخدام الإعلانات ووسائل الإعلام وحتى السياسة بشكل متزايد لهذا الغرض، حتى في أكثر المنتوجات الكبرى الدراماتيكية، والتي لا علاقة لها بالتشاؤم الذي كونه مجرد تصرف عاطفي ولا يلامس الجوهر، أي الوجود الذي كان دائما مألوفا إلى حد ما في المجتمع.

مثل هذا التمويه في الحياة، والذي يختزل البقاء على قيد الحياة، ينتشر أكثر فأكثر في وقتنا الحاضر، كما يجب على المرء ألا يتوقف على استئناف إدانة الحياة من زاوية أو من أخرى.

السياحة هي أحد الأمثلة الصارخة، لأن السياحة قضت على إمكانية السفر (قوتها الانفصالية) التي لا تصمد إلا بشكل متقطع في هفواتها. فالسفر له تأثير لا يمكن إنكاره في إعادة شحن عواطفنا وتمزيق الحياة، مع بعض الدوائر المميزة، كمنظمي الرحلات، شبكة النجوم، وعلامات ما يجب رؤيته وتصويره، ونسبة الجودة إلى الوقت والسعر، واقتصادها (السياحة). وقد غطت السياحة – من أجل ترشيدها – إمكانية السفر في قدرتها على جمع الناس معا، أو حتى الحياة الأكاديمية التي قد يظن المرء أنها محصنة من هذه المحاكاة المخططة، من خلال تقديمها مجانا. هل هي آمنة ؟ لأننا نعلم أن تنظيم الباحثين في العلوم الإنسانية في فرق وشبكات واتصالات، لم يعد بإمكاننا

العيش خارجها بشكل موضوعي، أو حتى المؤتمرات التي تعرض فيه مواضيعهم ولوحاتهم، وترتيباتهم المالية أو أمالهم لتسويغ الميزانيات التي تم إنفاقها (لكنها ليست كتبا فقط، ولم يكتب فيها أحد بالفعل). ليست فقط المتجهات – من الذي يختبرها ؟ جائحة الملل. لقد غطوا جميع أشكال الحياة الفكرية بمبدأ تمهيدي للامتثال (أكثر عندما يكون في شكل كروي)، وحافظوا من خلال هذه المحاكاة – التي ليست مجرد طقوس – على حياة وهمية حقا للعقل، حيث لا أحد يستثمر فيها. صحيح أنه لا أحد ينخدع بها حقا. لكنها ليست مسألة ازدواجية، حيث إن هذا المظهر مقبول الآن، وأنه يوصي بنفسه عن حسن نية ولا يمكن إنكاره من خلال ادعاء أفضل الحجج في العالم (تواصل أفضل، المزيد من التغير ات...). ومع ذلك، من لا يشارك في هذا فهو مجرد ناجٍ، موهيكان أخير Mohican. إلى أي وقت طويل؟

7- الآن، يأتي الوقت في الحياة عندما يكون هذا المظهر الاجتماعي، هذا المظهر المقيد، المشقوق غير كافٍ، لم يغطِّ المطلوب، حيث لم يعد قناع البقاء على قيد الحياة كما تسمى الحياة، لم نعد قادرين على التظاهر بعدم رؤية حقيقة مفادها أن التجربة الحية لا تزال على قيد الحياة فقط، لأنه في الحكاية عرض نفسه بطريقة غير لائقة كمشهد، يظهر الملك في النهاية عاريا، وأن الحياة مجرد بقاء لدرجة أننا اعتدنا على إخفائها لدرجة أننا لم نعد نلاحظها. إن ما يسمى عادة "الحياة" هو مجرد مظهر من مظاهر الحياة يجبرنا على البقاء. لقد شعرنا بهذا. في الحقيقة منذ الطفولة وإلى حد كبير اتضح أن الحقيقة أصلية وهيكلية في الوقت نفسه، والذي يهمنا في هذا السر العظيم لم يكن معترفا به.

كم كان علينا التظاهر بأننا لا نعرف ذلك، لذلك، كان غير مقبول اجتماعيا، أو أن الطريقة الأولى للبقاء هي التي فرضت علينا التظاهر بعدم معرفة أن الحياة هي مجرد بقاء على قيد الحياة. وفي خطر سوء التأقلم، بخلاف ذلك، هذا هو أول لباس للحياة على مدى الحياة في غياب للتأهيل المهني، لدرجة أنه في هذه اللحظة التي توضع على طريقة الحياة الحقيقية، يمكننا دفعها مرة أخرى إلى الأبد في حياتنا. ومع ذلك، كان هناك شعور ثانٍ بالبقاء على قيد الحياة. والذي سيتطلب فقط الكشف عنه هناك، مما يسمح باكتشاف "حياة ثانية" على عكس الحياة المزدوجة المؤسفة، إذ كنا نحاول إنقاذ أنفسنا من الحياة الوهمية المفروضة. ليس فقط البقاء على قيد الحياة هو التغلب على صعوبة العيش كما يقول الألماني إيبيرليبان Uberleben، ولكن يمكن أن يكون الاستمرار في العيش أو العيش كأبعد من ذلك، فما معنى العيش بعيدا عندما تعتقد أنك عِشت كل شيء ؟.

عندما تعتقد أنك عشت كل ما يمكنك أن تعيشه، وعندما ترى القليل ما وعدنا به على أنه عيد الحياة العظيم، وأن مستقبل الموت قد بدأ يتشكل، وأن حياة الشخص الحيوي تبدأ في التراجع، وأن المرء لم يعد يرى ما يزال بإمكانه العيش إن لم يكن في أحسن أحواله، عندئذ لم يعد ينكر ذلك. إن محاولة العيش تأخذ معنى جديدا عن طريق منع اللاحياة للعيش، كما لم يعشها أحد من قبل، ليس هذا من أعماق اليأس، بل يسطع الأمل، حيث تنطلق العقيدة المنتهية بشكل نهائي، ليدعو المرء إلى عكس نفسه في الأخير، لأننا نعلم الآن معرفة راسخة وبما فيه الكفاية أن الشيء الوحيد الذي نتيقن منه هو موتنا (أن مجهولنا

الآن مجرد عرضي). يمكننا أن نبدأ في العيش من اللاحياة التي غطته، عندما ننتهي من الاكتشاف ، عندما لا يكون لدينا أي شيء نتوقعه من حيث الهيمنة، عندما يُرى ويُدرك، عندما يبدو كل شيء في الحياة معروفا بشكل قاطع، عندما تبدأ عملية فك الغطاء، فلم يعد السؤال المطروح هو ما الذي لا يزال بإمكاني أن أعيشه ؟ ولكن ما الذي لا يزال بعيدا عني مما أعيشه من خلال الخروج من التقدم المسقط أمام الذات، فيما يمكن أن يكون اكتشافا للحياة، ليصبح بإمكان المرء الوصول إلى التوافق الذي يسمح بالمحاولة الفعالة. الذهاب من المعرفة إلى حد القوى المتبقية لإنقاذ الحياة من الحياة الوهمية التي يخسرها تحت تفكيرها الوهمي أولا.

الموجود في ذاته يمتد إلى الآخر. من المعقول أن المرء يكتسب أو يدرك أن العيش هو البقاء على قيد الحياة وأن المرء سيخرج من العزلة، وأنه سيكسر التوحد في حياته؛ أي أنه سيكون قادرا على مقابلة الآخر في جل الأوقات الحميمية، من الحياة وليس غيرها، كما يريد المجتمع من خلال بعض التشجيعات على التواصل الاجتماعي، لأنه تحديدا من الإدراك يعيش الآخر مثلي أنا دائما، على قيد الحياة مثل الحياة، بالإضافة إلى البقاء على قيد الحياة، وهذا يعني كيف نشارك في الأصل حالة الناجي، التي تردد في حد ذاتها حياة الآخر، والتي يمكن رسمها بالفعل مع الكائن الآخر.

عندما يستشف أحدهم ما يعيشه فجأة دون أن يقول ذلك، وربما دون أن يخبر نفسه بشكل سري للغاية، فمن أجل مقاومة خسارة الأرواح في حياته، فإننا نتواصل معه، ليس كثيرا من خلال إدراك

التمثيل كما قيل عن الاختلاف عند فرويد، في ذلك الجهد العنيد لمحاولة العيش والتي تعتبر الأكثر اشتراكا في العالم من بقاء الجهد الحيوي عندما نمسك بيد المريض إلى بقاء الأحياء. عندما ننظر إلى نظرته لفترة أطول قليلا مما هي لائقة. من أعماق البقاء يمكن للمرء أن يفيض من نفسه إلى الآخر، أو من ناجٍ إلى ناجٍ نتعايش معه ضمنيا دون شفقة. ربما يتجاوز كل تفكير، بينما في الحياة الاجتماعية كل شيء سيفصلنا. فنحن لا نتوقف عند كاشف الحياة، واثقين من أننا سنكون في حالتها كما تفعل الشفقة في اللحظات، ولسبب وجيه فكل واحد ليس له منطق ولا ألم. لكن تأتي هذه لشفقة من ذكاء الحياة الحقيقية المكتسبة من النزول إلى أعماق البقاء على قيد الحياة والعبور في الفكر من طبقات التعافي المتراكمة، حتى تظهر تلك الحياة أخيرا في ما لديها – أو بالأحرى فيما هي عليه – أكثر من على قيد الحياة.

الآن، ما هو الأكثر حيوية في الحياة ؟ نحن نعلم بالفعل أنه إذا لم يكن في ما بعد الحياة الحاضرة المؤجلة، فإنه ليس في تمجيد حاضر الحياة وشدتها، وأكثرها حيوية من الحياة الحقيقية حتى لو كنا نرغب كثيرا في إرباكهم – الحلم بالحياة التي يمكن الوصول إليها وإلى ربيعها على الفور–.

(VII)

«من فكَّر أكثَر عُمقا أحبَّ الأكثَر حياة...»[57]

1 -أليست الحياة الحقة طبعا هي المرتبطة بهنا و الآن؟ أليست موجودة مباشرة في الحاضر الذي يُعرض علينا؟ أوَلمْ تُعط في أول صباح لها بهذا العالم، في تدفقها الذي لا يقسمه و لا يعده و لا يقدمه أحد ، و في انسيابها الذي لا يواجهه أحد؟ و لنقل إذن هو انسياب الحياة. فهل يمكننا أن نعبر عنه بصيغة اخرى؟ فمادام الآني لا يترك لنا فرصة حمايته فهل الحياة الحقة هي الحياة الآنية التي لا تُعطى في رغبة أولى ، و في رغبة تامة، و في انخراط لا يمكن التحكم فيه، و الذي ضمنه لا يمكننا التحدي ، أو عندما يقترح علينا الانسياق خلف كل سبل التفكير التي لا يمكن الطعن فيها أبدا أو الالتفاف حولها؟ و هل يجب أيضا أن نقرر فجأة أن نقسم هذا الزمن القصير إلى شظايا صغيرة أو نتخلى عن الأمر بالمرة؟ إنه شبح الفكر. فالمستسلم يفقد الحياة التي يحياها، والولوج للحياة الحقة معناه قول "لا" لكل المنغصات التي لا تنتهي باستعادة موطئ قدم في الحياة، وبدون أن ينتصر العقل، و في

---

(57) - بيت شعري للشاعر و الفيلسوف الألماني فريدريش هولدرلاينFriedrich Hölderlin (1770-1843)

حضن المادي و المحسوس ، وسط الريح، وسط الأمواج و سطوة وحشيتها حيث نحكي دائما عن مقبرة البحارة. و لنختم بهذا الحكم: "لا ، لا ! قفوا ! في هاته الحقبة المتعاقبة ! كسروا جسدي ، هذه البنية المفكرة! "

فولوج الحياة الحقة سيكون إذن قلب كل الرفض إلى قبول قبل أن ينغمس أي شيء خارجي في براءة الإحساس الموجود. نعم، كالجدة المنتشية بحكاية الأوهام ، و أي تهكم نوجهه لها تواجهه بذلك الصدق الذي لا يجعلها تتأثر. و من هنا فهذا النوع من التفكير يتم تحريفه في عملية التثقيف مما يجعلنا نسقط فيه حتما. و لكي نعكس الأمر ، و لكي نصححه ، و في خضم تلك السهولة و الطبيعية و العفوية يجب علينا ألا نستدعي أي تفكير أو أي اتهام. و بهذا فهل يمكننا إذن أن نعود جسدا لجسد حقيقي مع هذا العالم ، وبعناق صادق لا يمكن إخفائه أو نفاقه؟ و لكن ، هل الإحساس مازال أصيلا و نقيا كالعذراء أم تمت فبركته واستهلاكه و تحريفه؟ و أنا أثق في الآنية رغم أنها هي الأخرى تم التحكم فيها و ضبطها و تحويلها. و رغم كل ذلك هل يمكننا القول أن تعافِي الحياة مازال لم يبدأ بعد؟

و بصيغة أفضل هل يمكن أن تكون "لا" هاته زمن انطلاق مهم لكي نفتح الباب أخيرا ل "نعم" و التي ستقضي على "لا" للأبد؟ ستكون حينها لحظة الرفض التي ستقضي كل ما يشوش و يكدر الحياة ، و لكن لكي نتخلص من "نعم" المسيطرة وصاحبة السيادة و نضعف نهائيا من وجودها في الحياة رغم قوة دورها. فقد استنكر زرادشت[58]

(58) رجل دين فارسي و مؤسس الديانة الزرادشتية.ولد سنة1000ق.م.

في إحدى قولاته الروح الجماعية التي تقول "نعم"، و أكثر كلامها "نعم" ، و دوما "نعم". تقول نعم كالحمار. ف"نعم" الحمارية هاته من يقولوها منافقون لأنهم لا يستطيعون قول "لا". فزرادشت يأمر بقول "لا" و فعل "لا" تجاه من قلنا لهم دوما "نعم" من أجل أن نخلق روحا جماعية قادرة على قول "لا"(وهؤلاء هم الرجال الحقيقيون). و لكي نغوص أكثر في معنى "لا" في علاقتها بالقيم المكتسبة و شعور الاستياء والخضوع الذي يحاصرنا ، حينها ندرك قيمة تحويل "نعم" الخادعة إلى" نعم" الصادقة و الخالدة في كل المواقف، وهذه الأخيرة هي "نعم" المباركة التي تحقق لنا عشقنا لقدرنا و مصيرنا جميعا و تفهمنا قسوة المأساة. و قبل أن نكون ذلك الجمل الصبور الذي يحمل أعباء ثقيلة ، و قبل أن نكون ذلك الأسد المغوار الذي يفترس تنين الواجب كي ينال حريته ، يجب أولا أن نكون ذلك الطفل البريء و المنسي المنشغل بأولى خطواته و الذي أعطته الخلقة المبدعة "نعم" مقدسة و صادقة. ف "لا" كانت مدمرة و لكنها مجرد موقف بدئي لأنها كانت موجودة بدون قوتها القاهرة و الآن هي في طور التحول و الانتقال إلى "نعم" و "آمين" طول الحياة ، و ذلك من خلال عودتها الأبدية حيث يستحيل أن يواجهها أي رفض و إنكار.

ولكن هل يمكن أن تصبح "نعم" هذه نفسها ،و بكل ببساطة، كلا تاما ؟ و هل يمكن ل "نعم" و "لا " أن تبقيا بعيدتين عن بعضهما بدون أن تتداخلا؟ و هذا راجع لكون "لا" ليست فقط صانعة ل "نعم" و لكنها أيضا مؤطرة لها كي تحصنها و تخرجها من أعماقنا. إنها "لا" تلك التي نخرجها من الأعماق ، تسبقنا من منبعها قائلين "لا"

ل "لا" لنعني بها صنفا من "نعم". "نعم" تلك الحقة ، "نعم" التي هي فعلا "نعم" و التي عندما نقولها حقيقة ك "نعم" ،و عندما نقول "لا " لكل الاعتراضات و لكل رفض محتمل ، و عندما نقول "لا" لكل ما لا يتماشى مع "نعم " هاته. و لكي تصبح "نعم" هذه فعليا "نعم" واعين بمن يقولها. و مع العلم أن "لا" هي أكثر أصالة من "نعم". و إذا لم تكن " نعم" ليست قول "لا" ل "لا"، تلك ال"لا" التي تقال لما هو ليس "نعم" هذه فإنها لن تكون "نعم " هذه للمجاملة و الانبطاح، نعم للخضوع و السلبية و المعاناة ، و التي لم يكن لنا فرصة اختيارها بل هي "نعم" الجاهزة. ف "نعم" نفسها هذه هي كنتيجة تفتقد للمتانة و الوحدة ، و تغيب عنها الآنية ، و كذلك تصبح مبهمة و ركيكة. فالرفض يتجلى في "نعم" حيث تحتضن "نعم" ال"لا" في داخلها كما قال ذلك بوهم Bohme أحد المفكرين الألمان الذي استقى منه هيجل بعض فلسفته. فقول "نعم" للحياة معناه إذن قول "لا" للّاحياة. إنه القرار إذن أن نختار هذا المسار بدون نهاية للتفكير ، و كي نتوقف عن قطع و تفتيت كل ما يحمي الحياة من اللاحياة و التي هي حياة مزيفة. فالحياة الحقة هي تلك التي لا تنتهي دوما بقول "لا"، و حينها نندفع دوما أكثرا عمقا نحو "لا" للرفض و المقاومة معلنين حياة مزيفة. وفي هذا الخضم ظن نيتشه أن ذلك هو الذي قلب للدين عاليه على سافله رغم أن ذلك لم يكن يستهدف هذا التغيير في البداية.

و من هنا وجب التخلص من هذه الفكرة البسيطة، تلك الفكرة المستمرة في غوايتنا ولو في غمرة انتقادنا لها، تلك الفكرة التي تشمل

وهما كبيرا نستوحي منه حيويتنا الساذجة و المستمرة، تلك الفكرة التي بواسطتها تكون الحياة الحقة تلك التي نقول من خلالها "نعم" دفعة واحدة و أولية و بعفوية ، و باندفاع بدئي وجب الحفاظ عليه. و بصيغة أفضل من ذلك يجب علينا تعزيز هذا الاندفاع بطريقة بحثة و جديدة و خلاقة و لم يسبق لها مثيل أبدا(لا مثيل لها unerhört هو مصطلح لنيتشه). و منذ تلك اللحظة سيصبح قائما على أنقاض ما تم هدمه و قلبه و التضحية به. و به وجب أن يتحدى كل واحد منا الآخر ، و أن نؤمن بأنه يمكننا أن نبدأ طريقا جديدا حيث لا يجرؤ على استفزازنا و مراقبتنا أحد و أن ننتصر على إحساسنا ، أن نعدو أهائجين كالأمواج . فالسلبية ستطفو و تعلو و تعود إيجابية حينها و تكون متاحة لنا للأبد. فلما لا نفكر في طفولة عثرنا عليها، و في براءة وجدناها للأبد. إنها دائما خدعة وجب تفاديها ،و بطريقة أو بأخرى فهي وهم.فالولوج للحياة الحقة يفرض الرجوع للأصل الطاهر قبل الضياع و الانمحاء، أو الوصول الأفضل أخيرا للبراءة لأننا ادعينا انتصار القوى الفاعلة التي تهدم ادعاءها. فسلبية اللاحياة لا تترك لنا فرصة تبديدها لا قبلا و لا بعدا. فالحياة الحقة هي في حاضرها حياة ، و لم تتح لنا إمكانية إحاطتها بعد، ولكننا لا نتوقف أبدا على التدخل فيها . فهي المتحررة من تحت أغطيتنا لها و التي نضعها عليها بكل فعالية و بدون توقف و بعبارة"لا" ضمن رفض لا قرار له ، و هو الرفض الذي لا يتوانى عن قول "لا" لكل استسلام و ركوض و نفي وكأنه تشيئ. فضمن هذا الرفض نفسه و الذي نجده كله أوليا و غير متجاوز توجد الحياة ، الحياة الحقة كما رأيناها.

2- سيتحدد ، ربما و في الواقع، الشكل النهائي لمعنى "أن تحيا" موحدا و صريحا و متينا.و معناه أن ذلك سيندمج في كل ما يصنع تناقضه. فمن جهة فأن تحيا هو فعل آني، و أكثر من ذلك هو الأني الممكن والوحيد . و من جهة أخرى، فأن تحيا معناه أن تحاول ،و أن تسيطر. يجب أن تحاول لتحيا ، و ليكون ذلك يجب أن تتوفر لك وساطة لا تتوقف، وساطة آنية للفكر والتي تقود لتحديد الحياة و تخليصها و فكها وفصلها. يجب أن تتوفر هذه الوساطة التي لا تنتهي بولوج آنية الحياة. وساطة"لا" هذه من أجل اللاحياة حيث تُمكّن من التدحرج للحياة التي نحياها. فأدورنو أشار بديباجة في افتتاحية كتابه "الحد الأدنى من الأخلاق " إلى " أن من يريد أن يعرف الحقيقة الخاصة بالحياة في آنيتها يجب عليه أن يستقصي في الشكل الآخر المنفصل عن ذلك الذي اتخذه". و معناه أن يتبعه رابطاً الوجودي بالسياسي وآخذا بعين الاعتبار القوى الموضوعية التي تحدد الوجود الفردي و بطريقة أكثر حميمية . أنه تناقض وجبت معرفته معرفة جذرية في مبدئه و في الخطر الذي يحدثه و إلا سنُحمل بعيدا و لن نرى إلا مكاره الزمان. و هذا القول ليس خاليا من فكر أدورنو" الذي يقر أنها هي هكذا نظرتنا التي نحملها عن الحياة ، وهي نظرة غارقة في الإيديولوجيا ، نظرة تخدعنا بتقنيعها للواقع بكون هذه الحياة لا توجد أبدا" ، أو أنّ هذه الحياة الحقة قد ضاعت منا منذ زمن ولى.

أنه لصحيح ، وعكس الصدق المطلوب، فإن عالمنا المعاصر أصبح أكثر فضاضة بكثير من كونه عالما للتساكن مادامت الظلامية باتت تطغى على الحياة جاعلة منها شبه حياة. فوسائل الإعلام نفسها

،إذا أخذناها من هذا المنظور و من خلال معناها التقني و في نفس الوقت من بعدها النوعي، أصبحت في وساطتها أكثر إيجابية في ظاهرها ، و العكس هو الصحيح مادام وجهها الآخر المزيف الذي هو وجه متطور من الوساطة السلبية التي تساهم في تعميتنا عن حقيقتها في تعليمنا الحياة. ففي الوقت الذي يجب أن تخدم وسائل الإعلام عملية الفضح و الاستنكار للحياة المزيفة فإنها تنشر هذه الحياة المزيفة فتفرض علينا شاشاتها لتعرض لنا برامجها بصيغ تركز على الشكل أكثر ما تركز على جوهر الحياة. و وسائل الإعلام هاته ليست هي قمة مافتىء الإنسان يخترعه فيكون أكثر إثارة ، و الأفضل لنا أن نتجنب هذه الوسائل كي نحيا حياة حقة(و بهذا وجب التفكير في التخلي عن كل ما يعكر صفو الحياة). فالجرح و الكسر هما صفتان متأصلتان في الإنسان، وبالأحرى هما الصفتان الوحيدتان الأصليتان في طبع هذا الإنسان، و هذا السلوك فيه قليل من الميتافيزيقية النافذة من شق مفتوح و ضعيف مادام يحرك الإنسان و يقويه ضمن زخم وجوده حيث أن هذا الإنسان لا يتوقف عن رغبته في تغطية و تضميد تلك الجراح. فالإنسان لم يعد موجودا بجنة عدن بل نفي خارجها ، ومتاعب هذا النفي بدأت منذ أزمنة. ولهذا فنحن نحيا ، أي لا نتوقف عن التوسط ب "لا" الرافضة للحياة المزيفة، آملين في الآنية في الحياة- أو بصيغة أخرى باحثين عن علاج- كي نجد الحياة الحقة و نبدأها.

و هل يمكننا حينها أن ندخل في تلاحم آني مع كل ماهو آني؟ و هل يمكن أن يحدث ذلك في هذا العالم؟ و هل يمكن أن تكون هذه هي الحياة؟ أن تدخل بكل بساطة في حضور مع حضور الشجرة ، و

تقول هذه الشجرة أمامي. فعندما أكون أمامها فإني لا أمثل نفسي أمامها. فحسب التمثلات اللامتناهية فالعقل يوجد في رأسي و ليس في البراري ، و هو يتمثل فعليا أمامي و أنا أتمثل فعليا أمامه . فمنذ مدة قال مارتن بوبر[59]"بأن تكون في علاقة مع الشجرة يعني أن تكون في "موقف إقامة تماثل بينك وبين نفسك وبحضور آني ووجها لوجه مع هذه النفس، وليس أن ترى الشجرة مجرد شيء غارق في الماضي". حين ذلك تصل إلى آني هذا الحضور ، " و لكي تنفذ إلى التراب الذي تحيا و تموت فوقه" ، وليس وفق رؤية نظرية. إننا نحتاج دائما إلى تغيير و مرغمين على مراجعة فكر هيدجر الذي دعانا إلى القيام بقفزة قائلا" إنه لأمر غريب ، أمر لا يُطَمْئن أن تكون لنا فرصة و لا نقوم بها ، فرصة القفز الآن لنصل إلى الأرضية حيث نوجد عليها الآن". و لكن لماذا هي قفزة مطمئنة لنا قليلا ، أو هي قفزة مزعجة و شريرة؟ إنها قفزة مهمة تمكنني من إعادة توجيه حياتي(و تخليصها و عتقها و تحريرها..) كي ألج الحياة الحقة ، و إنه لشرعي أن تفشل هذه الشجرة في تمثيلي ، و بصيغة أخرى أن تقطع و تحبط كل التمثلات المجردة و العامة التي تتملكنا دوما و عن بعد ، تتملكنا داخل عقولنا ، تتملكنا دون أن نضرب لها حسابا ، و التخلص منها يُمَكِّننا من الشروع في الدخول في حضور مع هذه الشجرة. فعندما أكون أمام الشجرة فهي لا تماثلني بتاتا ، ولكن حسب تمثلات عقلي اللامتناهية فهي توجد دائما في رأسي و ليس في البراري، و يجب أن أتخلى عن هذه التمثلات كي تحضر الشجرة بقوة أمامي و أحضر أنا بقوة أمامها. وكيفما نعرف فالرسام الذي يرغب في رسم شجرة- الفن المعاصر (سيزان

(59) فيلسوف وجودي ألماني(1878-1965)

Cézanne [60]) فرض إلحاحه في هذا الموضوع. فالدخول إلى حضور الإنسان مع الأشياء المرسومة لم تكن أولوية هذا الفن. فقد اعتمد "لا" الوسيطة و الشرعية ليبدأ في رؤية هذه الشجرة متجاوزا الوسائط التي ذكرناها و في وضع غير مهووس بها- هو فعلا يجسد نظرة زائفة عن هذه الشجرة و يدخل في حوار داخلي طبيعي في شبه رؤية لهذه الشجرة و ليس رؤيتها حقيقة.

3- إنه لإدراك داخلي وأولي أن تكون الحياة في ذاتها ليست مصادفة مادامت المصادفة توازي الموت التي ليس لها ولوج آني لآنية الحياة. و لكن هناك فقط وساطة ب"لا" ، أي "الحياة السلبية" التي تزعزع الموازنة الإيجابية للحياة وحتما ستضيع معها هذه الحياة. أنه لأمر هو هكذا فيه تناقض- يزرع فعالية فيما يتركه ، و يجدد في نفس الوقت كل ما لا يتوقف عن تحويره-لأن الحياة هي في توتر مع الحياة . فأفلاطون عينه لمّح جيدا أن جوهر الحياة هو ألا يتوقف نقيضها على تحفيزها(من كتاب Philèbe الفصل35). و لكننا هنا لن نقبل التناقض لأن الفلسفة قد نبذت مماثلة الموجود كمرسخ للتواؤم الذي خانه بالتأكيد، بينما كانت الحكمة متجلية في المماثلة هذه من الناحية الأخلاقية و الاجتماعية و محاصرتها في مكنونها. وبطريق أو بأخرى فتضييع الحياة في جوهرها هو أن نترك لها احتواءنا تماما في حضورها حتى نكون مشبعين بها و قد تملكتنا النوستالجيا لها. و الوهم أن نأخذ غياب الحياة هذا في الحياة من خارجه او في عرض لما هو خارج عن الحقيقة و إعادة ضبطه هناك خارجها. فهذا ضعف سقطنا فيه و منذ البداية، إنه

(60) بول سيزان رسام فرنسي(1839-1906)

خطاب الميتافيزيقا.

و بما أن جوهر الخطاب هو الرغبة في تثبيث الحاضر في حاضره، إنه نفسه تماما هو جوهر النثر الذي يعتبر كمطية للخطاب إذ يجب أن نرغب في شد الحضور بمحدداته- أن نصف و نعين- ثم تجسيدها. وبعبارة أخرى، ألا يكون ذلك كرد فعل لجوهر نوع آخر عكس النثر ، والذي هو الشعر الغارق في مواصفاته العامة، و ألا يّمَكِّننا ذلك أن نعي أبعاد غياب الحضور؟ ألا يُمْكننا بعد ذلك أن ندرك غياب الحياة في الحياة ، أن نُتْرَك للإحساس بالحياة الحقة؟ ألا يكون ذلك صفة اللامصادفة نفسها للغة هذه الحياة الحقة ، وبتعبير آخر ألا نعني بذلك أن نفتح فرقا شاسعا بين هذه اللغة و لهجتها (و الذي نسميه عادة بالفارق الشعري) الذي يمثل هذه اللغة في أضعف وظيفيتها؟ و ليس هذا هو السبب الذي دفع أفلاطون لأول مرة للإعلان عن مفهوم "الحياة الحقة" في تاريخ الفكر ، و هذا يشبه الغناء خلال الأناشيد.

فالنتر يتمركز بكل سلاسة داخل كل ما يلبي الحضور أما الشعر فيلتقط كل ما يتركه هذا الحضور يمر ليخترق الغياب. و في هذا تنخرط اللهجة و خصوصا أن الشعر المعاصر لم يتوقف قط عن المساهمة في توسيع الفارق بين الحضور و الغياب حتى الطلاق - بينما الشعر الكلاسيكي لم يكن و بكل صدق إلا مجرد خطاب مقلوب- و هذا يعني أن الشعر كان دائما حاضرا و لا يجسد الغياب بكل أشكاله لأنه يتميز باللامصادفة ويضم فيه تلميحات مانعة للافتراضات كما قال مالارمي [61]. وبهذا فالشعر يفتح أبوابا للحياة و يسمعنا غياب

(61) شاعر و ناقد فرنسي(1842-1898).

الحياة و لكننا نسمعه في الحياة ، أي نحس بغيابه في حضوره. فكل ما يشدنا ويثيرنا فذاك هو الحقيقي، والخدوش والجروح الأصلية تترك شروخا دائمة في الإحساس وكأنها وقعت في تلك اللحظة." أنا و روحي محطمان" كما قال بودلير [62] (في ديوان الجرس المحطم). لقد لمح بودلير هنا إلى ضرورة إعادة معرفة مبادئ الحياة مجتمعة ،الحياة الحقة والشعر. و لكي نبدأ في الاحتفال ب"هنالك" أو "هناك" ، و التي هي مبدأ أفلاطوني للمثالية ، في الغياب فكل الفن الذي أنتجه بودلير هو كان نداء لإرجاع ال"هناك" إلى ال"هنا" و بما تحمله الحداثة من كلمة. و هذا يعود إلى أنه ليس الحضور هو الذي يجب أن نقول نعم بكل براءة و لكن البدايات هي مجرد تسللات فارغة ، مجرد نسيم لفردوس مفقود ، مجرد جنة خضراء لحبنا الطفولي، و لكن لكي نحس كل ابتعاد في سرعته القصوى أو في مسافته الحميمية :

الكمانات ترتجف خلف الهضاب

و يجب علينا أن نتساءل كيف قرض بودلير هذا البيت الفريد ، و الذي يُلَمِّح فيه إلى "الحياة الحقة". فلماذا هذا البيت فيه كل هذه الشدة نحو القريب و البعيد ، ومن مخفي بعيد، و ممتعا بوصف المشهد الذي بدأ في التشكل ، وفي الانعتاق ، وفي الانزلاق ، و في التحرر تاركا إياه ينساب فعليا في الحياة الحقة و تجسيدها في صورتها الحقيقية؟ فالمصدر الذي أتى منه هذا البيت راكح هناك ، ولا يمكن رؤيته أو إدراكه ، ولكن الاهتزاز الذي أحدثه هو راجع للتأثير الذي سَبَّبَه الآن. وإذا تعمقنا أكثر فإن الحضور نحسه حافلا بكون هذا الحضور لا يمكن

(62) شاعرو ناقد فرنسي(1821-1967)

احتوائه. و إذا قلنا أن عبارة "وراء" (وراء الهضاب) مزيلة للتعتيم ، و مولدة للحضور في آنيته، ومرسخة للمصادفة ، و موضحة لصفة الإنسان الفاني و منبهة لرحيله المحتمل. و في نفس الوقت فكلمة "ترتجف" (وهي أكثر تجليا في حاضرها) لها رعشة خفيفة و ارتعادا- بينما هي مزلزلة الآن و توا- يخلقان الآنية و الحياة الحساسة. أما انفصال الكمان ، فأنه يترك الإيقاع ينكسر و الرعشة تتوقف .

و من هنا وجب فضح الأنية المزيفة للحياة الحاضرة لكي نلج للإحساس اللامتناهي لحضورها، و باختراق تام لغيابها كي ندمج أخيرا هذا الإنسان، الكائن الحي المنتمي للحياة و لكي نعرف أيضا مكنون هذا الإنسان. ومعرفته هنا تشدنا برابطة يفرض فيها الآني نفسه. و الولوج إلى الآني الحساس للحضور هذا يسمى حبا ، خلال اختراقه للغياب و الذي يمتاز بنوستالجيته و يلغي الإيجابية التي فرضته كي يطلق العنان للانهائي. و إذا كان الحب له معنى ، الحب في آنيته الحساسة حيث ننغمس فيه دوما. فالفيلسوف هولدرلاين تأمل محاورة ألسيبيادیز [63] مع سقراط : " لماذا تشيد أنت يا سقراط المبجل دوما بهذا الإنسان الصغير؟" قال سيبيادیز مركزا على كلمة"دوما". " لماذا منحته كل هذا الحب و كأنه حب للآلهة ، و عينك لا تفارقه حبا؟". و الجواب كان هو التركيز على أهمية العلاقة الحميمية بين الإنسان و أخيه الإنسان و دون تجاوز للحدود المقبولة:

الأكثر عمقا في تفكيره يحب الأكثر حياة.

---

(63) ألسيبايَديز Alcibiades(450 ق.م- 404 ق.م) هو رجل سياسة وخطيب وقائد عسكري إغريقي بارز من أثينا القديمة.

يمكننا كما فعل هايدغر أن نتعمق في خضم معنى هذا البيت. والتقاطع البيّن فيه هو بين الفعلين: فكر / أحب في حدودهما المطلقة. و مثل ذلك يجعلنا ننشد للمرور من الماضي للحاضر : فالحب الآني للأكثر حياة منبثق من العمل الدؤوب للفكر. إنه حتما و مؤكدا كنتيجة له. و مثل ذلك مثل استخلاص النتائج من المعادلة من خلال مقاربة نسبية لها. فما معنى الأكثر عمقا إذن؟ و هل معنى "عمقا" يمكن أخذه من المعنى البسيط الذي نعرفه و هو "عمق التفكير"- فاليونانيون كانوا أكثر انجذابا للعمق مثلهم مثل نيتشه - ؟ ف"عمقا" لها معنى هنا مضبوط وهو يعني الذي غاص أكثر فأكثر بواسطة الفكر كمنجمي أو حفار مارا عبر كل الطبقات وكاشفا عن الحياة وربما قد يستخرج هذه الحياة الحقة يوما ما.

الحياة الحقة

«الحياة الحقةُ» تعَدُّ، هكذا، مصطلحا يمكن عبره إطلاق نقد «الحياة كما هي»، كما نقول، ولكنها، واقعيا، ليست هي الحياة أو ليست حَقة. إنه يسمحُ بالكشف عن كيف أن هذه الحياة التي تسيرُ كما تسير، أو بالأحرى كما لا تسيرُ، تعد حياة مُزيفةً ومَعطوبة، في الوقت نفسه خاطِئة وناقِصة، مهجورة ومحرومة: حياة غائِبة في الوقت ذاته في شرطها الأصلي للوجود (وهي تلمَس هنا الميتافيزيقي) وبواسطة الاستِلاب العادي الذي تخضعُ له داخل المجتمع (من وجهة نظر اقتصادية وسياسية). هذان المستويان، اللذان نقابلُهما عادة، ألا يجتمعان في الحياة؟ كذلك مفهوم الحياة الحقة، ألا يمكن أن يقوم تحديدا، بوظيفة نقطة ممكِنة للقائهما؟ نتيجة لذلك، الحياة الحقة تظهَر لي مفهوما أكثر فعالية، يجِدُ ملاءمته في ذاته، أكثر من الاستدعاء التقليدي جدا «للإنسانوية ». لأنه إذا كان هذا الأخير قد أعيد له الاعتِبار، بل وأصبحَ مطلوبا أكثر فأكثر، في أيامنا هذه، بتكاليف جديدة، من أجل أن يكون بمثابة حُجة للمقاومة – مثل الإسعافات الأولية والأخيرة -في تناقُض مع انحراف العالم، ماذا يعرف أن يقابله فعليا؟ بادئ ذي بدء، في تناقض مع ما نتألمُ منه اليوم، من كل الجوانب، بفعل «العَقلنات» و «التقنويات»، الغير صالحة للعيش بالمعنى الصحيح، المفروضَة من لدن السُّوق وعولَمته؟ بين ما نعرفه عن ما قبل–الإنساني وما يمكن أن نستشعِره عن «ما بعد-إنساني»، مفهوم «الإنسانوية» فقد وظيفة المُطلق، المُشيدة عل أساس" طبيعة" إنسانية مُحددة في هويتها، التي يبنى عليها النزاع. لذلك أعتقدُ أن الحياة الحقة يمكنُ أن تكون بَديلا لها بصورة مُفيدة. لأن «الحياة الحَقة» تحتوي في ذاتها، باسم ما يمكنُ أن تجابِه وتَرد: باسم ما نرفُض مثل الهجر وتصحُر الحياة التي نُذرت حيواتُنا لها. وبادئ ذي بدء، إذا كان مفهومُ «الحياة الحقة» يمكن أن يكون في البداية من الأخلاق، كل أخلاق تنطلقُ من انشطار، فإنه يسمحُ بالفصل بين هاتين الحياتين: الحياة العادِية، التي تكتفي بشبه-حياة، مستسلمةٍ للظاهر الخارجي للحياة، والحياة التي تبتعد عنها في رِحلة البَحث عن حَياة تَحيا.